رحلة الكنيسة

يوسف رياض

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو الكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

تقديم

في ختام تاريخ مملكة يهوذا، وقبيل غروب شمسها، كانت كلمات الرب إلى إرميا: "هكذا قال الرب قفوا على الطريق وانظروا واسألوا عن السبل القديمة أين هو الطريق الصالح وسيروا فيه فتجدوا راحة لنفوسكم" (إر٦: ١٦). وها نحن أيضاً قد بلغنا ختام تاريخ المسيحية، وقريباً سيخطف الرب من العالم كنيسته الحقيقية، بينما يتقيأ من فمه الكنيسة الاسمية لتنال دينونتها العادلة. فمن اللازم والمهم أن نسأل نحن أيضاً عن السبل القديمة لنتعلم ونعتبر، ونشدد أيادينا للخير (نح٢: ١٨).

لهذا السبب كان هذا الكتاب الذي أقدمه مع صلواتي للرب أن يجعله نافعاً لأهل الإيمان، الذين هم "شركائي في النعمة" (فى ١: ٧) وبالنعمة صرنا "شركاء الدعوة السماوية" (عب٣: ١). وفي طريق بلوغنا لهدف الدعوة نعبر معاً وادي البكاء فصرنا بذلك شركاء الألم والضيق والصبر (فى٣: ١٠، رؤ١: ٩). لكن عن قريب جداً إذ تنتهي الغربة والسياحة سنصبح جميعاً شركاء المجد (١بط٥: ١). نعم إلى شركاء النعمة والدعوة، الألم والمجد أقدم هذا الكتاب الذي يحكي قصة النعمة والألم منذ أن أُعلنت دعوة الله العليا إلى لحظة وصولنا للمجد.

يوسف رياض

الإسكندرية

نوفمبر ١٩٩١

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

شعر

رحلة الكنيسة

من وحي رؤ ٢، ٣

وسط المنائـرِ يمشي سيدُنا الجليل

وسيمشي حتى ينتهي الدربُ الطويل

تلك المنائر تحكي قصـةَ رحلةٍ

بدأت، وتدوي الآن أجراسُ الوصول

فيها عروسٌ تبتغي لها مقصـداً

حيث العريسُ أعدَ منزلها الجميـل

إن طـال دربُها أو تعثَّر خطوها

حالاً يمد العونَ يهدي لها السبيـل

وإذا هوى الكتفُ وساعدُها اشتكى

حَملَ الشدائد عنها والحِملُ الثقيـل

إن حال كدُّ السيرِ دون وفائها

ما كان قلبه عن محبتها يحـول

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نظرات استهلالية

يتحدث هذا الكتاب عن رحلة الرسول بولس المذكورة في آخر سفر الأعمال، هذه الرحلة التي بدأت من قيصرية وانتهت بأسر الرسول في روما. ولقد وردت تفصيلات تلك الرحلة المثيرة بكل دقة في الإصحاح السابع والعشرين من سفر الأعمال، المواني التي مروا فيها، والصعوبات التي تعرضوا لها، التحذيرات الرسولية، والتشجيعات الإلهية، أثاث السفينة الذي رموه ثم المراسي التي نزعوها. الطعام الذي أكلوه ثم الحنطة التي طرحوها... وتفصيلات أخرى دقيقة سنشير إليها في حينه. حتى أن الشخص الملم بكلمة الله من الطبيعي أن يسأل: ألا توجد قيمة لكل تلك التفصيلات الدقيقة سوى قيمتها التاريخية فقط؟ أليس من دروس روحية نتعلمها من تلك التفصيلات؟ والإجابة التي اقتنع بها عدد من الشراح هو أن سفر الأعمال، السفر المشغول بالحديث عن نشأة الكنيسة وتكوينها من يوم مولدها في أعمال ٢ ثم أيامها الباكرة بعد ذلك، يختم برحلة تقدم لنا بلغة تصويرية رحلة الكنيسة من بدايتها المجيدة إلى نهايتها المحزنة. لقد كان الرسول بولس خادم الكنيسة (كو ١: ٢٤: ٢٥) بمعنى أنه الإنسان المعيَّن من الله لإعلان الحق الخاص بالكنيسة، فليس عجيباً أن ترينا رحلته الأخيرة تلك، رحلة الكنيسة من الأول للآخر، أي من يوم الخمسين إلى الاختطاف بل وإلى ما بعد ذلك أيضاً.

يبدأ إصحاح ٢٧ من سفر الأعمال بسفر الرسول بولس في البحر إلى روما بعد أسره في أورشليم ومكوثه في السجن في قيصرية سنتين. فرحلة الرسول إذاً التي نتحدث عنها بدأت في الواقع بأورشليم وانتهت برومية. تماماً كما أن سفر الأعمال يبتدئ بأورشليم وينتهي برومية. والمسيحية كما نعلم بدأت من أورشليم والآن ها زعامة المسيحية قد آلت إلى روما. وستظل هناك إلى ما بعد اختطاف الكنيسة. فأكبر كنيسة في العالم هي في روما، وأكبر رئيس ديني في العالم هو في روما، وأكبر تجمع ديني عالمي يتبع كنيسة روما. هذه هي أولى المشابهات بين رحلة الرسول ورحلة المسيحية. لكننا سوف نرى فيما يلي كيف تتطابق هذه الرحلة الواردة في أعمال ٢٧ في تفصيلاتها الدقيقة مع رحلة المسيحية عبر العصور من البداية حتى النهاية.

رحلة واحدة في ثلاث سفن:

لقد استخدمت في هذه الرحلة ثلاث سفن متتالية، السفينة الأولى هي سفينة أدراميتينية (٢٧: ٢) وصلت إلى ميناء ميرا في مقاطعة ليكية. وعندها استبدل المسافرون سفينتهم الصغيرة بسفينة ثانية إسكندرية (٢٧: ٦)، أي من ميناء الإسكندرية في مصر، ويبدو أن هذه السفينة الإسكندرية كانت أكبر من سابقتها وبوسعها أن تعبر البحر الكبير. لكن هذه السفينة تكسرت عند ماليطة ونجا ركابها جميعاً. وبعد نجاة الركاب واصلت الرحلة مسيرتها بعد ثلاثة أشهر

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في سفينة ثالثة هي أيضاً إسكندرية (٢٨: ١١)، لكن الوحي يذكر هذه المرة أنها كانت موسومة بعلامة الجوزاء، وهي علامة وثنية، كان الملاحون يرسمونها على سفنهم لتجلب لهم الحظ السعيد في البحر.

وهكذا يمكن تقسيم رحلة المسيحية أيضاً إلى ثلاث مراحل رئيسية:

المرحلة الأولى: هي مرحلة التأسيس في العصر الرسولي وما تلاه من عصور الاستشهاد، وفيها كانت الشهادة صغيرة لكنها نقية. وتم بصدق القول: دماء الشهداء هي بذار المسيحية.

المرحلة الثانية: عندما اعتنق قسطنطين الكبير المسيحية عام ٣١٣ وجعلها الديانة الرسمية للدولة ، ومن وقتها انتشرت المسيحية وأصبحت ديانة عالمية. وستنتهي هذه المرحلة الثانية قريباً بنهاية مزدوجة: نجاة جميع المؤمنين الحقيقيين بالاختطاف إلى السماء، بينما ستتكسر المسيحية تماماً كإناء للشهادة للحق.

المرحلة الثالثة: هي ما ستؤول إليه الحالة بعد الاختطاف إذ ستواصل المسيحية الاسمية مسيرتها (بعد ترتيب أوضاعها نظراً للحادثة التي ستهز كيانها، أعني الاختطاف) في سفينة وثنية تنتهي بالمسيحية إلى أسوأ أشكال الوثنية التي عرفها العالم في كل عصوره أعني بابل. وكما نفهم من سفر الرؤيا فإن بابل أم الزواني ورجاسات الأرض هي المرأة الجالسة على السبعة الجبال (رؤيا١٧: ٩) وتشير إلى روما المدينة المبنية على السبعة الجبال. وبالتحديد إلى نظام البابوية في روما- أعني الفاتيكان، الذي سيصبح بعد اختطاف الكنيسة إلى السماء معقلاً ومجتمعاً لوثنية العالم كله، ويتم القول الخطير "سقطت سقطت بابل العظيمة وصارت مسكناً لشياطين ومحرساً لكل روح نجس، ومحرساً لكل طائر نجس وممقوت" (رؤ١٨: ٢).

رحلة المسيحية أو تاريخ الكنيسة النبوي

يصور لنا الروح القدس رحلة الكنيسة على الأرض في أجزاء عديدة من الكلمة النبوية، فنرى تلميحاً لها في تاريخ قضاة إسرائيل في سفر القضاة، وكذلك مقدمة سفر راعوث، كما نرى مشابهة لها في تاريخ مملكة إسرائيل ويهوذا. وأيضاً في إنجيل متى ١٣ في أمثال ملكوت السماوات، وفي أجزاء أخرى أيضاً لن يكون بوسعنا الإشارة إليها الآن ولا الحديث عن تفاصيلها، خشية الخروج عن القصد من هذا الكتاب الصغير. لكن ربما يكون سفر الرؤيا إصحاح ٢، ٣ هو أوضح أجزاء الوحي التي تتحدث عن هذا التاريخ النبوي للكنيسة في الرسائل السبع الموجهة إلى الكنائس السبع التي في آسيا.

هذا الجزء من كلمة الله في هذا السفر النبوي يتحدث إلينا مباشرة عن الفترة الحاضرة، أعني الفترة من يوم الخمسين إلى يوم الاختطاف، إذ يقول الرب ليوحنا في الإصحاح الأول

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من سفر الرؤيا ما يمكن أن نعتبره مفتاحاً لهذا السفر النفيس "أكتب ما رأيت، وما هو كائن، وما هو عتيد أن يكون بعد هذا" (١: ١٩). وهذا التقسيم للسفر يقسم لنا السفر موضوعياً ليسهل لنا فهمه. لكن لا يقسمه إلى أقسام متساوية لأن غرض سفر الرؤيا الأساسي هو أن يُعلن الله لعبيده مالا بد أن يكون عن قريب (١: ١).

فقسمه الأول: "ما رأيت" هو مشهد الرب القضائي الوارد في الإصحاح الأول من السفر (رؤ١: ١٢- ٢٠).

وقسمه الثاني: "ما هو كائن" أي كل الفترة الحاضرة.

أما قسمه الثالث: فهو مالا بد أن يكون بعد هذا- أي الأمور التي ستلي اختطاف الكنيسة إلى السماء وهي كل الأقوال الواردة من رؤيا٤ إلى آخر السفر حيث أن هذه العبارة هي فعلاً نفس ما يفتتح به الإصحاح الرابع.

فإذا فهمنا ما سبق يكون من السهل علينا أن نفهم أن ما هو كائن هو موضوع رؤ٢، ٣. وفيه تقسم كل فترة الكنيسة إلى سبعة أدوار كالآتي:

دور كنيسة أفسس "وكلمة أفسس تعني محبوبة أو مشتهاة" رؤ٢: ١- ٧ يصور لنا العصر الرسولي وما تلاه حتى عام ١٦٧ م تقريباً.

ودور كنيسة سميرنا "وكلمة سميرنا معناها مر" رؤ٢: ٨- ١١ تصور لنا عصور الاستشهاد حتى عام ٣١٣ م.

ودور كنيسة برغامس "وكلمة برغامس تعني انغماس أو زواج بالإرغام" رؤ٢: ١٢- ١٧ يصور لنا أيام المسيحية عندما صارت ديانة عالمية من عام ٣١٣ حتى أواخر القرن السادس الميلادي تقريباً.

ودور كنيسة ثياتيرا "التي تعني تمثيلية أو قد تعني كما يقول البعض الذبيحة المتكررة" رؤ٢: ١٨- ٢٩ تصور لنا الكنيسة البابوية في العصور المظلمة ويستمر هذا الدور حتى مجيء الرب.

ودور كنيسة ساردس "وتعني بقية" رؤ٣: ١- ٦ تصور لنا الإصلاح في أوائل القرن السادس عشر، ثم بعد ذلك عندما تحولت حركة الإصلاح الروحية إلى حركة سياسية فدخلتها برودة الموت. ويستمر هذا الدور أيضاً إلى مجيء الرب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ودور كنيسة فيلادلفيا "وتعني المحبة الأخوية" رؤ٣: ٧- ١٣ تصور لنا النهضة الأخيرة التي لمعت في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر وتستمر هذه الحالة أيضاً حتى مجيء الرب.

وأخيراً دور كنيسة اللاودوكيين "وتعني حكم الشعب" رؤ٣: ١٤- ٢٢ تصور لنا الارتداد الأخير والتحول عن المسيح الذي بدأ في أواخر القرن التاسع عشر ويستمر إلى أن يختطف المسيح الكنيسة الحقيقية إلى السماء، وها نحن ننتظر نهاية الرحلة بمجيء الرب بين لحظة وأخرى، وعندئذ سيتقيأ الرب الكنيسة المدعية من فمه.

وعلى ذات المنوال الذي استخدمه الرائي بالروح القدس في رؤيا٢، ٣ سأنسج تطبيقي على هذا الإصحاح، أعمال٢٧.

ملاحظات ابتدائية:

قبل البدء في سرد تفصيلات تلك الرحلة وتطابقها العجيب مع رحلة المسيحية عبر العصور نذكر أولاً بعض المعاني المجازية التي ستساعدنا على فهم التطبيقات الروحية لهذه الرحلة.

١-فالسفينة سنعتبرها صورة للكنيسة أو للمسيحية كشاهدة لله على الأرض. ليست الكنيسة في امتيازاتها كجسد المسيح[١]أو عروس المسيح، بل باعتبارها مستودعاً للحق، لقد قال بولس من جهة الذين ارتدوا عن الإيمان المسيحي "أعني مجمل التعاليم المسيحية، أو بالحري الإيمان المسلَّم مرة للقديسين" أن سفينة إيمانهم انكسرت (١تي١: ١٩). لكن هذا الارتداد الفردي عن المسيحية الذي يحدث بين الحين والآخر في هذه الأيام الشريرة سيصبح بعد اختطاف الكنيسة ارتداداً عاماً فيحدث تحول نهائي عن الحق وارتداد كامل عن مجمل التعاليم المسيحية الأساسية، وبالتالي ستتكسر سفينة الإيمان بصفة عامة عند الاختطاف. لهذا سنعتبر السفينة في هذا التطبيق صورة للمسيحية كإناء للشهادة للحق تمخر بحر هذا العالم إلى الشاطئ الآخر، ومن هذا الوجه ينتظرها التكسّر عن قريب.

٢-وبولس إناء الوحي سنعتبره يمثل صوت الله المتكلم إلى الإنسان لاسيما فيما يختص بذلك الحق[٢]الذي ائتمنه الله عليه، سواء "إنجيل مجد الله المبارك" (١تي١: ١١) أو "السر المكتوم منذ الدهور في الله" (أف٣: ٩) بالإجمال سنعتبر بولس يمثل صوت الوحي وتعاليم المسيحية السامية.

٣-أما ركاب السفينة الذين عددهم ٢٧٦ ووصلوا جميعهم سالمين إلى البر فسنعتبرهم في تطبيقنا يمثلون عائلة الإيمان أو عائلة الله، إنهم المسافرون مع بولس أو بالحري هم "شركاء الدعوة السماوية" (عب٣: ١) الذين صاروا يُكوَّنون مع المسيح فريقاً واحداً (عب٢: ١١).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٤-وأخيراً فإن الرياح التي تعرضت لها السفينة مرات عديدة خلال الرحلة (ع٤، ٧، ١٤، ١٥، ٤٠) سنعتبرها تمثل هياج الشيطان "رئيس سلطان الهواء" (أف٢: ٤) ضد الكنيسة مستخدماً أعوانه، مثيراً الاضطرابات والاضطهادات بقصد إغراق السفينة ومن عليها لو قدر.

وسنرى كيف أنه قدر فعلاً على إتلاف وتحطيم السفينة، أما المسافرون فإنه لم يقدر أن يُهلك أي واحد منهم.

ببطء لكن بثبات

لم تكن رحلة بولس هذه سهلة أبداً، لقد تعرضت لكل أنواع الصعاب، وتكالبت ضدها كل قوى الشيطان، لكأن ذلك العدو الشرس الذي نراه في فاتحة سفر أيوب يهيِّج رياحاً عاتية ليهدم بيت ابن أيوب الأكبر على من فيه، قد جمع كل العواصف التي يعرفها لإعاقة الرحلة أو لإغراق السفينة. لقد وصلت السفينة إلى ميناء يقال له الموانى الحسنة لكنه كان اسماً على غير مسمى، ومرة أخرى ظن النوتية أنهم ملكوا مقصدهم لكن اتضح خيبة ظنهم فبعدها مرت على السفينة وركابها فترات ما أصعبها وذاقوا الأمرين، كقول المؤرخ الإلهي "إذ لم تكن الشمس ولا النجوم تظهر أياماً كثيرة، واشتد علينا نوء ليس بقليل، انتُزع أخيراً كل رجاء في نجاتنا" (ع٢٠). لكن رغم صعوبة ما تعرضوا له فقد بلغوا مقصدهم في النهاية. ورغم المخاطر التي تعرض لها كل ركاب السفينة لم يهلك منهم أحد. وما أجمل القول الذي يُختم به الإصحاح "وهكذا حدث أن الجميع نجوا إلى البر".

والآن حاول أن تتبع مسار تلك السفينة على خريطة، وسرعان ما ستكتشف أن تلك الرحلة لم تكن خطاً مستقيماً. لقد انحنى المسار وتباطأ المسير، لكن بولس كان متيقناً أنه سيبلغ روما مهما حدث، لا لشيء إلاَّ لأن الله وعده بذلك "ينبغي لك أن تقف أمام قيصر" (ع٢٤). وبكل تأكيد كان وعد الله القديم "إذا اجتزت في المياه فأنا معك" (إش٤٣: ٣) سبب تعزية لبولس. بل إنه كان يوقن أيضاً أن شعرة لن تسقط من رأس واحد من المسافرين معه، لأن الله قال ذلك أيضاً (ع٢٤).

وهذا كله في تمام الانطباق على رحلة أكبر وأهم، هي رحلة الكنيسة فلا يوجد أكثر مما تعرضت وتتعرض له المسيرة من مصاعب واضطهادات، لكننا لابد أن نبلغ البر سالمين، رغم عاصف الريح وعاتي الموج، على حساب ذاك الذي وعد بأنه لن يتركنا "أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" (٢٨: ٢٠). ومع أنه لا مواني حسنة في رحلتنا لكن هذا فضل لنا كيلا تتعلق قلوبنا بالأرض وبالمكوث هنا. قريباً- على أي حال- سيتم القول "الجميع نجوا إلى البر".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تُقت له في غربـةٍ في عالمِ الهـولِ

حيث الجهادُ والعنا ووحشة الليـل

فقد تناهى الليـلُ والصبحُ دنا جداً

والربُ آتٍ مسرعاً لينجـز الوعـدَ

---

[١] -لا يقدر أي إنسان أن يلحق أي ضرر لجسد المسيح، والكنيسة من هذه الوجهة لا تقوى عليها أبواب الجحيم (متى١٦: ١٨). أما الكنيسة كإناء للشهادة فقد فشلت "كما سنرى في هذا الكتاب"، وسوف تتحطم قريباً.

[٢] -عندما يذكر الرسول بولس في آخر رسالة كتبها، رسالة تيموثاوس الثانية، أن جميع الذين في آسيا "المقصود مقاطعة آسيا"، ومن ضمنهم طبعاً أفسس عاصمة المقاطعة التي إليها كُتبت رسالة أفسس وشُرحت الدعوة السماوية وحقيقة الجسد الواحد بأكثر إفاضة، فعندما يقول الرسول في ٢تي١: ١٥ إنهم ارتدوا عنه "ولا يقول إنهم ارتدوا عن المسيح أو المسيحية" فإنه كان يشير إلى تحولهم عن تلك التعاليم السامية التي سُر الروح القدس أن يستخدم بولس في توجيهها إليهم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الدور الأول: العصر الرسولي وما تلاه

(ع١- ٣)

"فلما استقر الرأي أن نسافر في البحر إلى إيطاليا سلموا بولس وأسرى آخرين إلى قائد مائة من كتيبة أوغسطس اسمه يوليوس فصعدنا إلى سفينة أدراميتينية وأقلعنا مزمعين أن نسافر مارين بالمواضع التي في آسيا. وكان معنا أرسترخس رجل مكدوني من تسالونيكي. وفي اليوم الآخر أقبلنا إلى صيداء فعامل يوليوس بولس بالرفق وأذن أن يذهب إلى أصدقائه ليحصل على عناية منهم".

هذه الرحلة من الرحلة تمثل لنا في رحلة الكنيسة، العصر الرسول وما تلاه. تلك الفترة التي ميزتها أشياء ثلاثة هامة:

١-إنها بداية محتقرة.

٢-لكنها بداية مباركة.

٣-ثم نرى بداية الانحراف.

أولاً: بداية محتقرة:

تأمل هذه العبارة "سلّموا بولس وأسرى آخرين"! بولس الرسول العظيم، إناء الوحي الذي استخدمه الله في كتابة أسفار في الكتاب المقدس أكثر من أي واحد آخر من كتبة الوحي، هو في نظر الناس كأحد الأسرى الآخرين، القتلة واللصوص!

ليس هذا غريباً على العالم الذي قدم الصليب لسيدنا. فهل ينتظر خادم المسيح أفضل مما قدمه العالم لسيده؟ ألم يعامل البشر ربنا المعبود نفس معاملة الأثمة والأشرار؟ (مر١٤: ٤٨، ١٥: ٢٨) إذاً "يكفي التلميذ أن يكون كمعلمه والعبد كسيده" (مت١٠: ٢٥). ولهذا فقد سار وراء المسيح أتباعه يشتركون مع سيدهم في تجاهل العالم واحتقار لهم "من أجل هذا لا يعرفنا العالم لأنه لا يعرفه" (١يو٣: ١) "كمجهولين ونحن معروفون" (٢كو٦: ٩).

لكن ليس الرسل وحدهم، بل كانت هذه نظرة العالم للمسيحية في البداية. فقيل عنها "شيعة الناصريين" (أع٢٨: ٢٢). وكان لقب "مسيحي" من شأنه إشعار صاحبه بالخجل (١بط٤: ١٦). هذه كانت نظرة العالم إلى المسيحية.

ثانياً: بداية مباركة:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يقول في (ع٢) "فصعدنا إلى سفينة أدراميتينية" "أي سفينة منتسبة إلى أدراميس وهي ميناء في ميسية. ويقال أن كلمة أدراميس تعني قصر الموت[١]). وهكذا بدأت المسيحية رحلتها من العالم مكان الموت أو قصر الموت "وأقلعنا مزمعين أن نسافر مارين بالمواضع التي في آسيا" وهي المواضع التي خدم فيها بولس معظم خدماته، والتي إلى الكنائس السبع فيها كتب يوحنا رسائله السبع التي تحدثنا عن رحلة المسيحية على الأرض كما مر بنا (رؤ٢، ٣).

ثم يستطرد الوحي فيقول "وكان معنا أرسترخس رجل مكدوني من تسالونيكي".
وأرسترخس هذا هو الاسم الوحيد من كل الركاب "بخلاف بولس" الذي يذكر في الإصحاح، ومعناه باتفاق كل المفسّرين "خير حاكم" وهكذا فإننا في أثناء رحلتنا نحو السماء لنا الحاكم أو المرشد الأفضل. فالمسيح قبل أن يصعد إلى السماء قال لتلاميذه "لا أترككم يتامى... أنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد" (يو١٤: ١٦، ١٨).
نعم إن الروح القدس الآن هو القائد الأفضل للمؤمنين في طريقهم نحو السماء "لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله" (رؤ ٨: ١٤).

إذاً فهناك شخصان مذكوران بالاسم[٢]من ركاب السفينة هما بولس وأرسترخس. بولس يمثل الحق الإلهي "كلمة الله" وأرسترخس يمثل الحاكم أو المرشد الإلهي أي "روح الله" ألعلنا نحتاج في رحلتنا شيئاً آخر بالإضافة إلى كلمة الله وروح الله؟!

لكن المؤرخ الإلهي لم يكتف بذكر اسم ارسترخس، بل يضيف إليه كلمتين هامتين فيقول "رجل مكدوني من تسالونيكي". وما أجمل ما يعيده إلى ذاكرتنا هذان المكانان: مكدونية وتسالونيكي. فمكدونية تذكرنا بالنعمة الإلهية والفرح العميق اللذين ميّزا المؤمنين في البداية "ونعرفكم أيها الأخوة بنعمة الله المعطاة في كنائس مكدونية أنه في اختبار ضيقة شديدة فاض وفور فرحهم" (٢كو٨: ١). هذا ما ميّز المسيحيين في البداءة، فرح رغم الضيق. وهذا ما تذكرنا به مكدونية. أما تسالونيكي[٣] فإنها تذكرنا بالمؤمنين الذين رجعوا إلى الله من الأوثان ليعبدوا الله الحي الحقيقي وينتظروا ابنه من السماء يسوع (١تي ٩: ١٠).

تسالونيكي إذاً تحدثنا عن التحول من الزيف إلى معرفة الحق. وليس ذلك فقط بل تحدثنا أيضاً عن انتظار تحقيق الرجاء المبارك. فإن رسالتي تسالونيكي تحدثاننا بصورة ملفتة عن مجيء الرب. فلا يكاد يخلو إصحاح من الرسالتين من الكلام عن مجيء الرب. لكأن القديسين في البداية وقد تركوا قصر الموت "العالم" راكبين سفينة الإيمان نحو الوطن السماوي كانوا ينتظرون بشوق مجيء المسيح للاختطاف وعلم المحبة يرفرف على السفينة، والفرح يملأ قلوب كل المسافرين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في تسالونيكي أيضاً نرى تقدير المؤمنين لكلمة الله، وللأواني التي حملت إليهم هذه الكلمة، أعني خدام الله خدام الكلمة (١تس٢: ١٣، ٣: ٦)، هذا من ناحية. ثم تقدير الرسل لهم وفرحهم بهم من الناحية الأخرى (١تس٢: ٧، ٨، ١٧- ٢٠). فما أجمل هذه الحالة! هذه كانت حالة الكنيسة في عهدها الأول.

ثالثاً: بداية الانحراف:

يؤسفنا أن نقطع الاسترسال في الصورة المباركة السابقة لنقول إن بذور الانحراف ظهرت مبكراً جداً في أيام الرسل أنفسهم. وتمَّثل هذا الانحراف في أمرين رئيسين.

١-ظهور الميل للرياسات البشرية.

٢-ترك المحبة الأولى.

١-ظهور الرياسات البشرية: أسمع مثلاً ما يقوله الرسول بولس لقسوس كنيسة أفسس "منكم أنتم سيقوم رجال يتكلمون بأمور ملتوية ليجتذبوا التلاميذ وراءهم (أع ٢٠: ٣٠). وهل المؤمنون يتبعون أشخاصاً؟ أتنتسب جماعات القديسين إلى البشر؟ أما يكفي القديسين كلمة الله قانوناً وروح الله قائداً؟ هذا بالأسف ما حدث. وسنجد بعد قليل كيف أن الرحلة لم تتبع كلام بولس (ع١٠، ١١، ٢١). أما أرسترخس الذي ورد ذكره مبكراً في ع٢، أرسترخس الذي معنى اسمه خير حاكم لن نعود نسمع عنه شيئاً. وأليس هذا ما حدث في رحلة المسيحية. إذ لم يستطع القديسون أن يستمروا طويلاً متكلين على إرشاد روح الله غير المنظور لهم فاستبدلوه بالرياسات البشرية والأنظمة الرسمية. ثم تكونت بعد ذلك طبقة متسلطة على الشعب، وهو ما يشير إليه الرب في خطابه لملاك كنيسة أفسس، الكنيسة الأولى الواردة في رؤيا٢: ١- ٧ في قوله "أعمال النيقولاويين التي أبغضها أنا" (رؤ٢: ٦) وكلمة نيقولاوي معناها متسلط على الشعب. وألئك الذين أرادوا التسلط على الشعب، حتى لو كانت لهم الدوافع الحسنة في حفظ جماعة الرب من الانحراف، فإنهم تجاهلوا وجود الروح القدس ساكناً في كل مؤمن، وساكناً في الكنيسة كبيت الله. وهكذا نحّوا الروح القدس جانباً.

لاحظ أن أرسترخس ظل مع الركاب إلى أن وصلوا جميعاً سالمين إلى البر، ولو أن أحداً لم يعد يلتفت إليه عملياً. وهو نفس ما حدث بالنسبة للروح القدس. فمع أنه لم يترك الكنيسة ولا يتركها كوعد الرب الكريم (يو١٤: ١٦، ١٧)، إلاَّ أن البعض ظنوا، نظراً لزحمة الأنظمة البشرية أنه عاد إلى السماء، فاجتمعوا في أوائل القرن الحالي وصلّوا لكي يحضر الروح القدس من السماء طالبين يوم خمسين جديداً. وكان الأجدر بهم لا أن يطلبوا حضوره كأنه

 All rights reserved © 2008-2018

ترك الكنيسة، بل أن ينتبهوا لحقيقة حضوره، سواء في سلوكهم الفردي أو الكنسي، ويرجعوا لدراسة كلمة الله، ويتصرفوا عملياً بالإيمان على هذا الأساس. لكن هذا ما حدث.

٢-ترك المحبة الأولى: سار مع الانحراف السابق، بل وربما سبقه، انحراف آخر هو ترك المحبة الأولى (رؤ٢: ٤) أو المحبة الفضلى. إذ نقرأ في (ع٣) "وفي اليوم الآخر أقبلنا إلى صيداء[٤]، فعامل يوليوس بولس بالرفق، وأذن أن يذهب إلى أصدقائه ليحصل على عناية منهم".

هذا ما حدث في اليوم الآخر. وعبارة "اليوم الآخر" فيها تلميح إلى الجانب الآخر من الصورة. فلم تكن كل الصورة منيرة، بل نجد هنا جانبها الآخر.

ثم إن عبارة "اليوم الآخر" تفيد اليوم التالي مباشرة، أي بعد فترة بسيطة جداً من المحبة الأخوية والمحبة للرب التي ميزت الكنيسة في أول عهدها. لقد حدث التحول والانحراف، إذ "أقبلنا إلى صيداء". وصيداء تعني الصيد، أو موضع الصيد. وتذكرنا بقول بطرس في ضعفه "أنا أذهب لأتصيد" (يو٢١: ٣) عندما عاد بطرس إلى البحر وإلى الصيد الذي منه دعاه المسيح ليكون شاهداً وخادماً له. هكذا الكنيسة أيضاً ذهبت إلى بحر مصالحها العالمية.

أما بطرس فقد تاب سريعاً ورجع ثانية إلى الرب وإلى خدمته بعد ليلة انحرافه. وأما الكنيسة فقد خرجت ولم تعد. وظل بولس يبحث عنها حتى استشهاده. أسمعه يقول مرة "لأن الكثيرين يسيرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً والآن أذكرهم أيضاً باكياً وهم أعداء صليب المسيح... الذين يفتكرون في الأرضيات" (في٣: ١٨، ١٩). وأيضاً "الجميع يطلبون ما هو لأنفسهم لا ما هو ليسوع المسيح" (في٢: ٢١). وفي آخر الرسالة قبيل استشهاده "جميع الذين في آسيا ارتدوا عني"، "الجميع تركوني" (٢تي١: ١٥، ٤: ١٦).

وقد تعني كلمة صيداء أيضاً "الغنيمة الوافرة". ويا للأسف أن يبحث كل واحد عن ربح وغنيمة في هذا العالم الزائف بدل أن ينشغل بالمسيح وأموره. ويا للأسف أن يقال "من الصغير إلى الكبير كل واحد مولع بالربح" (أر٨: ١٠).

وأما رائحة مصادقة العالم فإننا نشتمها في القول "في اليوم الآخر أقبلنا إلى صيداء. فعامل يوليوس بولس بالرفق وأذن له أن يذهب إلى أصدقائه ليحصل على عناية منهم" فإن الرفق والعناية من الأصدقاء في صيداء نشتم منها رائحة الصداقة العالمية أكثر منها رائحة المحبة الأخوية. وألم يحدث هذا فعلاً في تاريخ الكنيسة في أواخر أيام الرسل؟ أما ترد في آخر صفحة من الصفحات المجيدة التي سجلها بولس الرسول بالوحي هذا القول المؤثر "بادر أن تجيء إليّ سريعاً لأن ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر" (٢تي٩: ١٠) هذه صورة لبداية الانحراف ويا لها من صورة معبرة!.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وعندما يجتمع هذا الثنائي الخطير: إبدال الروح القدس بالتنظيمات الرسمية والرياسات البشرية من جانب مع محاولة أخذ الغنيمة والبحث عن المكسب من الجانب الآخر فإنه لا ينتج سوى ما حذرت منه كلمة الله مراراً. فمثلاً يقول بطرس الرسول "أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقهم... ارعوا رعية الله التي بينكم نظاراً لا لربح قبيح بل بنشاط، ولا كمن يسود على الأنصبة" (ابط٥: ١- ٣). ويقول الرسول بولس "يوجد كثيرون يجب سد أفواههم. فإنهم يقلبون بيوتاً بجملتها معلمين مالا يجب من أجل الربح القبيح" (اتي١٠: ١١).

وأخيراً نقول إن جنسية السفينة الأدراميتينية تعني كما ذكرنا في حاشية سابقة: ليست في السباق فالسفينة الأدراميتينية إذاً تفيد أن المسيحية بالأسف قد خرجت مبكراً جداً من السباق. وذلك لأن أمام المؤمنين الحقيقيين سباقاً "لنحاضر بالصبر في الجهاد "السباق" الموضوع أمامنا"(عب١٢: ١) أنه سباق نحو جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع (في٣: ١٤). لكن ويا للأسف قد خرج المسيحيون بصفة عامة من هذا السباق!

والآن دعنا قبل سرد باقي تفصيلات الرحلة نتذكر خلاصة ما رأيناه في هذا الدور.

لقد رأينا أولاً نظرة العالم إلى المسيحية، نظرة الازدراء والتحقير.

ورأينا ثانياً نظرة الإيمان إلى الكنيسة. أنها ذات نظرة الله، نظرة التكريم والتقدير.

ثم رأينا أخيراً نظرة الرب الفاحصة الذي يقول لكل ملائكة السبع الكنائس "أنا عارف أعمالك" (رؤ٢، ٣).

ويا لها من نظرات ثلاثية جديرة بالتأمل والاعتبار!

---

[١] -بحسب قاموس بوتس. لكن ماكسون ودافيدسون يذكران أن أدراميتينية تعني ليست في السباق وسوف نعلق على هذا المعنى أيضاً بعد قليل.

[٢] -نستنتج من القول "صعدنا" و "أقلعنا" و "أقبلنا"... أن لوقا كاتب السفر كان في الرحلة. لكن اسمه لم يرد في الإصحاح.

[٣] -معناها بحسب قاموس بوتس: نصرة الله، وبحسب قاموس جاكسون وقاموس دافيدسون: النصرة على الزيف والكذب.

[٤] -يقول قاموس الكتاب المقدس لطمسن أن صيداء تعني مكان صيد السمك. وجاكسون يقول أنها تعني صيد "hunting" ويقول فاوست في موسوعته أنها تعني مدينة الصيد "fishing town" أما "بوتس" في قاموسه فيقول أنها تعني الغنيمة الوافرة. وسوف أشير أيضاً إلى هذا المعنى بعد قليل.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الدور الثاني: عصور الاستشهاد

(ع٤- ٥)

لغاية أوائل القرن الرابع الميلادي

"ثم أقلعنا من هناك وسافرنا في البحر من تحت قبرص لأن الرياح كانت مضادة. وبعدما عبرنا في البحر الذي بجانب كيليكية وبمفيلية نزلنا إلى ميراليكية".

نرى في هذه المرحلة من الرحلة ما يتجاوب مع الدور الثاني من رحلة الكنيسة، دور كنيسة سميرنا (رؤ٢: ٨- ١١) وذلك الدور الذي ميزه أمران:

١-الاضطهاد الشديد "الرياح كانت مضادة".

٢-تقدم الرحلة "أقلعنا، سافرنا، عبرنا، نزلنا".

أولاً: الاضطهاد الشديد:

في البداية نلاحظ أن هذه المرحلة من الرحلة هي أقصرها من جهة السرد التاريخي (آيتان فقط). وكذلك أيضاً كان الخطاب الثاني لملاك كنيسة سميرنا أقصر كل الخطابات. وقد تكون أيضاً السجلات التي تتضمن التاريخ الحقيقي لشهداء المسيح قليلة نسبياً. فمن كان يحفل من عظماء العالم ليسجل تاريخهم؟ لكن أعمالهم وبطولاتهم وإن كان الكثير منها مجهولاً لنا الآن لكنها كلها مسجلة في السماء في "سفر تذكرة" (ملا٣: ١٦)، وستظهر تفصيلاتها المجيدة أمام كرسي المسيح.

يقول لوقا "سافرنا في البحر من تحت قبرص لأن الرياح كانت مضادة[١]" وكلمة قبرص لها معنى جميل فهي قد تعني صفاء. أو حب أو زهرة[٢]. لكنهم لم يبلغوها بل مروا تحتها "لأن الرياح كانت مضادة". وهنا نجد أول ذكر للرياح في الإصحاح. وسيتكرر ذكرها ٦ مرات "رقم الشر". ونحن نعرف من الذي يهيج الرياح والعواصف ضدنا. فالكتاب قال عن الشيطان إنه "رئيس سلطان الهواء" (أف٢: ٢). هذه الرياح المضادة إذاً، والتي كانت من فعل الشيطان "بسماح من الرب"، قد أعاقت تقدم الرحلة. أو لا يذكرنا هذا بما قاله الرسول بولس للتسالونيكيين "لذلك أردنا أن نأتي إليكم أنا بولس مرة ومرتين وإنما عاقنا الشيطان" (١تس٢: ١٨). بل إن هذه الرحلة نفسها (أع٢٧) والتي سبقتها سنتا سجن للرسول في قيصرية، وتلتهما سنتا سجن له في رومية، كانت واحدة من صور إعاقة الشيطان لتقدم العمل.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثم ما أقسى السفر في البحر عندما تكون الرياح مضادة. كم تعني تلك العبارة القصيرة "الرياح كانت مضادة"، وكم تتضمن في طياتها من أهوال. وبصفة عامة ما كان أشد العواصف القاسية التي هبت على الكنيسة في عصور الاستشهاد والتي يقول عنها الرب لملاك كنيسة سميرنا "لا تخف البتة مما أنت عتيد أن تتألم به. هوذا إبليس مزمع أن يلقي بعضاً منكم في السجن لكي تجربوا، ويكون لكم ضيق عشرة أيام. كم أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة" (رؤ٢: ١٠). هذا ما كان أمام أولئك الأمناء: ألم، وتجربة، وضيق، وموت!.

وكما تبدأ هذه المرحلة من الرحلة بالإشارة إلى الرياح المضادة، تُختم بأنهم نزلوا أخيراً في ميناء ميرا بمقاطعة ليكية. وميرا تعني مر "وهو نفس معنى كلمة سميرنا في رؤ٢: ٨". وليكية تعني ذئبي "أي شبيه بالذئب". أو إلتهاب[٣] ألا يعطينا هذا صورة للمرار الذي شربه الشهداء والعذاب المستعر الذي عانوه على أيدي أناس أشرار في شراسة الذئب؟!

ثانياً: تقدم العمل:

رغم قسوة تلك الأيام ومقاومة العدو الشديدة للعمل، فإن تقدم المسيحية لم يتوقف في تلك الفترة، بل كانت المسيحية تتقدم ببطء لكن بثبات. وهكذا هنا لم يوقف هياج البحر تقدم السفينة من تحت قبرص.

لقد سخّر الشيطان كل قواه لمعاكسة تقدم الشهادة لكن العمل لم يتوقف. وهذا يذكرنا بما قاله الرسول بولس في ظروف مشابهة "لأنه قد انفتح لي باب عظيم فعّال. ويوجد معاندون كثيرون (١كو١٦: ٩).

إذاً لقد سار معاً بصورة عجيبة في هذا الدور المعطلات الشديدة إلى جوار تقدم الرحلة إلى الأمام، فانتشرت المسيحية في كل مكان. وهنا نرى السفينة تصل إلى "كيليكية" التي تعني "انقلاباً" وإلى "بمفيلية" "أي كل القبائل" فكأن المسيحية في تلك الفترة وصلت إلى كل القبائل وأحدثت فيهم انقلاباً. واستمع إلى هاتين الآيتين لترى التأثير الهائل الذي أنتجته المسيحية بدءاً من أيام الرسل، الأولى: "وتجمعوا "أي اليهود الأشرار" وسجسوا المدينة "أي أهاجوا أهلها" وجروا ياسون وأناساً من الأخوة إلى حكام المدينة صارخين إن هؤلاء الذين فتنوا المسكونة "أي قلبوا العالم بأسره رأساً على عقب" حضروا إلى ههنا أيضاً" (أع١٧: ٥- ٧). والآية الأخرى "فنستحسن أن نسمع منك "أي من الرسول بولس" لأنه معلوم عندنا من جهة هذا المذهب أنه يقاوم في كل مكان" (أع٢٨: ٢٢).

هذا ما كان عليه الحال في أيام الرسل. واستمر الحال على ذات المنوال في عصور الاستشهاد. لكن تغيراً جذرياً سنراه في الدور الثالث الذي سنتأمله فيما يلي. وكما ذكرنا قبلاً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فإن الرحلة واصلت مسيرتها على سفينة مختلفة، بمعنى أن المسيحية أخذت طابعاً مختلفاً بالكلية كما سنرى.

---

[١] -في زكريا عندما يتحدث عن المرأتين مشيراً إلى الارتداد والشر يقول "والريح في أجنحتها" فكل قوى العالم التي هي في يد الشيطان، رئيس سلطان الهواء، ورئيس هذا العالم تساعد الشر، لكنها هنا في أعمال٢٧ تعاكس الشهادة لله.

[٢] -يقول دافيدسوف أنها تعني حب، وبوتس تعني جمال أو صفاء. وجاكسون يذكر لها معنيين: حب أو زهرة.

[٣] -يذكر دافيدسون وجاكسون أن معنى "ليكية" هو ذئبي "Wolfish" أما بوتس فيقول أنها إلتهاب وإشتعال "inflammation, great heart".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الدور الثالث: المسيحية العالمية

(ع٦- ١٣)

من أوائل القرن الرابع إلى نهاية القرن السادس

"فإذ وجد قائد المئة هناك سفينة إسكندرية مسافرة إلى إيطاليا أدخلنا فيها. ولما كنا نسافر رويداً أياماً كثيرة وبالجهد صرنا بقرب سلموني. ولما تجاوزناها بالجهد جئنا إلى مكان يقال له الموانئ الحسنة التي بقربها مدينة لسائية.

ولما مضى زمان طويل وصار السفر في البحر خطراً إذ كان الصوم أيضاً قد مضى جعل بولس ينذرهم قائلاً أيها الرجال أنا أرى أن هذا السفر عتيد أن يكون بضرر وخسارة كثيرة ليس للشحن والسفينة فقط بل لأنفسنا أيضاً. ولكن كان قائد المئة ينقاد إلى ربان السفينة وإلى صاحبها أكثر مما إلى قول بولس. ولأن الميناء لم يكن موقعها صالحاً للمشتى استقر رأي أكثرهم أن يقلعوا من هناك أيضاً عسى أن يمكنهم الإقبال إلى فينكس ليشتوا فيها. وهي ميناء في كريت تنظر نحو الجنوب والشمال الغربيين. فلما نسمت ريح جنوب ظنوا أنهم قد ملكوا مقصدهم فرفعوا المرساة وطفقوا يتجاوزون كريت على أكثر قرب".

نرى في هذه المرحلة من رحلة بولس ما يتجاوب مع الدور الثالث من رحلة الكنيسة، أي دور كنيسة برغامس (رؤ٢- ١٧) التي يميزها ما يلي:

١-المسيحية أصبحت ديانة عالمية.

٢-دخول الروح العالمية إلى الكنيسة.

٣-التحول عن كلمة الله إلى كلام الإكليروس.

أولاً: المسيحية ديانة عالمية:

عند ميراليكية بدّل المسافرون السفينة الأدراميتينية "التي ليست في السباق" بسفينة إسكندرية، أي من مصر التي ترمز في الكتاب المقدس إلى العالم. وهذا يشير إلى الدور الذي بدأ باعتناق الإمبراطور قسطنطين المسيحية وصيرورة المسيحية الديانة الرسمية للدولة، فأصبحت بذلك ديانة عالمية. لقد بدأ هذا الدور عام ٣١٣م. حيث يقال إن الإمبراطور قسطنطين وهو ذاهب للحرب من فرنسا إلى إيطاليا رأى وقت الظهر علامة الصليب في السماء وفوقه مكتوب بحروف بارزة "بهذا تغلب وتنتصر". ولقد عمل راية على مثال الصليب الذي رآه واستعمله علماً له في الحرب فانتصر انتصاراً باهراً. وكانت النتيجة أنه اعتنق المسيحية بعد ذلك وجعلها الديانة الرسمية للإمبراطورية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في كتاب مختصر تاريخ الكنيسة يعلق أندرو مولر على هذا الأمر قائلاً: "إننا إذا تعمقنا في معرفة فكر قسطنطين معرفة صحيحة لما ترددنا لحظة في القول بأنه كان في ذلك الوقت وثنياً بالقلب ومسيحياً من الوجهة الحربية فقط. وما اعتنق المسيحية إلاَّ كجندي واقع تحت تأثير الخرافات، حيث كان في تلك اللحظة على استعداد أن يقبل بسرور ويرحب بمساعدة أي إله قدير يستعين به في حروبه[١]". وهذا في تمام التوافق مع القول الوارد في رحلتنا "إذ وجد قائد المئة سفينة إسكندرية مسافرة إلى إيطاليا أدخلنا فيها" (ع٦).

ثم يقول بعد ذلك "سافرنا من تحت كريت بقرب سلموني... جئنا إلى مكان يقال له الموانى الحسنة" (ع٨). في المرحلة السابقة مروا من تحت قبرص "التي تعني حب أو صفاء" أما هنا فسافروا من تحت كريت "ذات السمعة الرديئة كقول بطون بطالة". وكلمة كريت ذاتها تعني "جسدي (carnal, fleshy)" ومدلول هذا أن المؤمنين في عصور الاستشهاد عبروا من تحت الصفو فلم يمكنهم أن ينعموا بالراحة أو يبلغوا هدوء البال بل قاسوا الاضطهاد وعانوا التعب. أما هنا فعلى العكس لم يعانوا من وحشية الأباطرة وظلمهم بل أتوا إلى مكان يقال له الموانى الحسنة.

الموانى الحسنة!! نعم ألم يصبح الإمبراطور نفسه في صفهم، والإمبراطورية كلها دانت بدينهم، فكيف لا تكون تلك هي الموانى الحسنة؟! وإن من يدرس تاريخ الفكر الكنسي يعلم أنه ابتداءً من ذلك الوقت بدأ الاعتقاد بأن الكنيسة تعيش الآن في الملك الألفي. فعندما كف العالم عن إظهار العداء وتنفس المؤمنون الصعداء، ظنوا أنهم "ملكوا مقصدهم" (ع١٣). وتخيلوا أنهم بلغوا الموانى الحسنة. لكن كما سنرى بعد قليل لم يكن الأمر كما ظنوا. ويا ليتنا نحن المؤمنين لا نتوقع موانئ حسنة في هذا العالم المضطرب المتغيَّر حتى نرسو آمنين هناك في ميناء المجد الأبدي بعيداً عن أعاصير هذا العالم حيث "البحر" وما يمثله من اضطراب وهياج "لا يوجد فيما بعد" (رؤ٢١: ١).

هذا الدور الثالث للرحلة يذكرنا بالمثل الثالث من أمثال ملكوت السماوات الوارد ذكره في (متى١٣: ٣١، ٣٢) حيث يشبه ملكوت السماوات بحبة الخردل الصغيرة التي كبرت جداً وصارت شجرة. لكن هل كان هذا حقاً ربحاً للشهادة؟ كلاّ، فبالأسف وجدت طيور السماء "إشارة لقوى الشر الروحية" قارن (مت١٣: ٤، ١٩) مكاناً لها في هذه الشجرة.

إذاً فلقد غيَّر الشيطان فقط أسلوب الهجوم على الشهادة. فلم يأت هذه المرة كأسد مزمجر كما فعل في دور كنيسة سميرنا (رؤ٢: ٨- ١١) بل كحية خادعة. وكم نحن في خطر عندما يأتينا العدو كحية ويظهر كأنه يريد خيرنا ونفعنا (٢كو١١: ٣، انظر أيضاً تك٣). والواقع أنه أفضل جداً أن يعبس العالم في وجوهنا من أن يبتسم لنا ويأخذنا في أحضانه. وسوف نرى خطورة ذلك فيما يلي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثانياً: دخول الروح العالمية إلى الكنيسة:

نعم دخلت الروح العالمية إلى الكنيسة في كل شيء فما عادت العبادة كما كانت في عصور الاستشهاد- في سراديب. ولا حتى في بيوت وأماكن متواضعة كما كان في العصر الرسولي بل في مبان فخمة ضخمة زينت بصور القديسين وتماثيلهم. نعم أصبحت السفينة إسكندرية "أي عالمية". لقد دخل كثير من الوثنيين إلى المسيحية، ويا ليتهم ما دخلوا. أقصد يا ليتهم ما دخلوا بالصورة التي دخلوا بها. فهم لم يدخلوها نتيجة توبة وإيمان، بل لمجرد ركوب الموجة. وكما يقولون: "إن الناس على دين ملوكهم" هكذا كان الحال آنذاك.

إذاً فلقد كان النجاح في هذا الدور مجرد نجاح ظاهري بدون تقدم حقيقي في المسير كقول المؤرخ الإلهي وهو يصف رحلتنا عند ذلك الدور "كنا نسافر رويداً... بالجهد صرنا بقرب كنيدس "التي تعني يلسع أو يقرص" ولم تمكنا الريح أكثر... ولما تجاوزناها بالجهد".

ثم يقول في (ع٩) "ولما مضى زمان طويل وصار السفر في البحر خطراً إذ كان الصوم قد مضى". والعبارة الأخيرة "كان الصوم قد مضى" عند تطبيقها على رحلة الكنيسة فإنها تفيد بأن أيام معاناة الكنيسة الأولى ولت وجاءت أيام الرغد والرخاء، إذ فتح قصر الإمبراطور أبوابه أمام رجال الدين وامتدت لهم موائده وفوقها أطايبه فصارت المناصب الدينية العالية مغنماً عالمياً. إذ ذاك فإن الصوم كان قد مضى.

لكن بالأسف جاء الفقر الروحي مع الغني الزمني. وجاء الخواء الباطني مع الثراء الظاهري. قيل إن القديسين توما الأكويني ذهب إلى مدينة روما ليقدم الاحترام للبابا الموجود في ذلك الوقت. فأراه ذلك البابا بعجب وخيلاء روائع قصره. ثم ذهب به بزهو فائق إلى خزانته وأراه رقائق الفضة والذهب التي كان يتلقاها من كل ريح وصقع، وبابتسامة خفية قال البابا للقديس: وهكذا أنت ترى يا أخ توما أنني لا أقدر أن أقول كما قال البابا الأول "يقصد الرسول بطرس" "وليس لي فضة ولا ذهب" (أع٣: ٦) فهذا زمان ولّى وذهب. وهنا نظر القديس توما الأكويني إلى البابا بحزم وقال نعم، تماماً كما لا تقدر أن تقول "باسم يسوع المسيح الناصري قم وامش". ويا له من رد يحمل الكثير والكثير. وآه مما خسرته المسيحية بدءاً من ذلك الدور، وأيضاً مما كسبته!

يقول المؤرخ الإلهي "صار السفر في البحر خطراً إذ كان الصوم قد مضى" وهذا يعني في التطبيق أن الإبحار إلى الأبدية بحسب كلام الناس أصبح غير مضمون. وضاع تأكيد الكتاب المقدس لخلاص المؤمن الأبدي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثم في (ع١٢) "ولأن الميناء لم يكن موقعها صالحاً للمشتى استقر رأي أكثرهم أن يقلعوا من هناك عسى أن يمكنهم الإقبال إلى فينكس ليشتوا فيها، وهو ميناء في كريت ينظر نحو الجنوب والشمال الغربيين".

لقد أتى وقت الشتاء البارد. والشتاء بمفهومه الروحي يحدثنا عن برودة الابتعاد عن الله وانقطاع الشركة معه (انظر نش٢: ١٠، ١١). لهذا فإنهم في جو انقطاع الشركة الحية والخيبة مع الله اتجهوا إلى فينكس[٢]"التي معناها القرمز وأرجوان. أو شجر النخيل". تلك الأمور التي اتجهت إليها المسيحية في ذلك الدور، أعني المجد العالمي والملك والعظمة. لكأنهم استبدلوا بأفراح الشركة الإلهية أفراح العالم الزائفة. ويضيف المؤرخ الإلهي بأن هذا الميناء في كريت "الجسدية (carnal)" ينظر نحو الجنوب والشمال الغربيين!

موقع عجيب أن ينظر الميناء نحو الجنوب والشمال[٣]معاً. وأعجب منه أن يحاول المسيحي التوفيق بين الأرض والسماء، أو أن تريد المسيحية جمع الدنيا والدين في آن معاً! لكن هذا ما آلت إليه المسيحية في هذا الدور بالأسف.

ثم يقول "فلما نسمت ريح جنوب ظنوا أنهم ملكوا مقصدهم". إن رياح الشمال العاتية تحدثنا عن الاضطهادات (أم٢٥: ٢٣، نش٤: ١٦، حز١: ٤). أما الرياح الجنوبية الهادئة الدافئة (أي٣٧: ١٧، لو١٢: ٥٥) فتحدثنا بالعكس عن مصادقة العالم للمسيحية "فلما نسمت ريح جنوب" وبدا وكأن الأمور كلها تناصرهم "ظنوا أنهم ملكوا مقصدهم" لكن هل ملكوا فعلاً؟ قال الرسول بولس "ليتكم ملكتم لكي نملك نحن أيضاً معكم" (١كو٤: ٨). كلاً إن الأمر لم يتجاوز مجرد الظن.

إذاً في أول هذه المرحلة من الرحلة أتى المسافرون إلى مكان يقال له "الموانى الحسنة" وما هو كذلك. وفي آخرها ظنوا أنهم ملكوا مقصدهم. وكان ظناً في غير محله كما رأينا.

ثالثاً: التحول عن كلمة الله إلى كلام الأكليروس:

"ولما مضى زمان طويل وصار السفر في البحر خطراً، إذ كان الصوم أيضاً قد مضى، جعل بولس ينذرهم قائلاً أيها الرجال أنا أرى أن هذا السفر عتيد أن يكون بضرر وخسارة كثيرة ليس للشحن والسفينة فقط بل لأنفسنا أيضاً. لكن كان قائد المئة ينقاد إلى ربان السفينة وإلى صاحبها أكثر مما إلى قول بولس".

لقد رأى الرسول في السفر ضرراً وخسارة كثيرة ليس للشحن والسفينة فقط بل للمسافرين أيضاً. والشحن يشير إلى الحق، لأن الكنيسة هي مستودع الحق الإلهي والشاهدة له "عمود الحق وقاعدته" (١تي٣: ١٥). أما السفينة فإنها الكنيسة كإناء يشهد لله على الأرض. أوليس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هذا ما حدث؟ ما أكبر الخسارة التي لحقت بالحق وبالشهادة في ذلك الدور من تاريخ الكنيسة!.

لكن ما معنى الضرر لأنفس المسافرين؟ ألعله يعني احتمال هلاكهم؟ كلاَّ، فالمؤمن الحقيقي لا يمكن أن يهلك. لكن هناك خسارة على أي حال نراها في الارتباك الذي يحدث للمؤمن في المعاناة التي تصيبه نتيجة فساد التعليم إذ يظل المؤمن في فزع ورعب ويصبح مضطرباً محمولاً بكل ريح تعليم (أف٤: ١٤).

"لكن كان قائد المئة ينقاد إلى ربان السفينة وإلى صاحبها أكثر مما إلى قول بولس". هنا نجد تعبيراً ملفتاً يرد لأول مرة في الرحلة "ربان السفينة وصاحبها". وفي التطبيق: إذا كنا نرى في السفينة صورة للمسيحية كشاهدة لله، فكم هو مؤسف أن يكون هناك شخص يقال له ربان[٤]السفينة وصاحب السفينة. لكن في هذا الدور من رحلة الكنيسة وُجد من اعتبر نفسه أو اعتبره الناس رئيس الكنيسة أو صاحبها[٥]. وأين المسيح "السيد الوحيد" (يه٤) وأين الخضوع له "كما تخضع الكنيسة للمسيح في كل شيء" (أف٥: ٢٤) لقد بدأ من ذلك الوقت النداء "اسمعوا لما تأمر به الكنيسة" فضاعت بالتالي كلمات الوحي "من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس" (رؤ٢: ٧، ١١، ١٧، ٢٩، ٣: ٦، ١٣، ٢٢). وتحولت الطاعة إلى الأنظمة الرسمية وإلى الأكليروس لا إلى كلمة الله وروحه القدوس!

إن "قول بولس" كما ذكرنا يشير في التطبيق إلى كلمة الله. ومع أنه في هذا الدور تمتعت الكنيسة بالكتاب المقدس مقرراً مقنناً[٦]بين يديها. لكن من أقاموا أنفسهم "أو أقامهم البشر" ورؤساء على الكنيسة لم يكن خضوعهم لكلمة الله وحدها بل إلى أقوال أخرى معها.

لم يسمع قائد المئة لكلام بولس (ع١١). وهذا يذكرنا بقول الرسول بولس نفسه لابنه تيموثاوس "أنت تعلم هذا أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني" (٢تي١: ١٥). إنهم لم يرتدوا عن الرب بل عن بولس. وهنا أيضاً- في الدور الثالث لرحلة الكنيسة- لم تترك المسيحية المسيح ولم تنكر إيمانه "أي الحقائق اللاهوتية الجوهرية- انظر رؤ٢: ١٣". ودافعت على يد اثناسيوس دفاعاً مجيداً عن لاهوت المسيح ضد بدعة أريوس. لكنها بالأسف تحولت عن كلام بولس وتخلت عن التعاليم السامية التي نادى بها الرسول مثل التبرير بالإيمان، ووحدة جسد المسيح، ودعوة الكنيسة السماوية وغيرها وغيرها....

ولاحظ القول "كان قائد المئة ينقاد إلى ربان السفينة وصاحبها أكثر مما إلى قول بولس". أو أنه رفض الانقياد إليه بصورة مطلقة. بل كان ينقاد إلى ربان السفينة وصاحبها أكثر مما إلى قول بولس. وكانت النتيجة الحتمية لذلك هو التحول عن كلمات بولس نهائياً. لقد كان لدى الربان خبرة في أمور البحر. ولقد احترم قائد المئة تلك الخبرة. وهو نفس ما حدث في تاريخ الكنيسة عندما صارت لخبرة الشيوخ لا لكلام الله المقام الأول.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هذا هو سر الانحراف الخطير في المسيحية اليوم.والانحراف دائماً يبدو صغيراً، في صورة تحول طفيف. لكن الوقت كفيل بأن يجعله انحرافاً هائلاً وخطيراً. هذا ما حدث في تاريخ المسيحية كما نستنتجه من أولى كلمات هذه المرحلة من الرحلة "لما كنا نسافر رويداً أياماً كثيرة". وهكذا على مدى قرون نتج هذا التحول الرهيب عن الحق الكتابي.

"ولأن الميناء لم يكن صالحاً للمشتى استقر رأي أكثرهم أن يقلعوا من هناك (ع١٢). وهنا نجد طابعاً لظاهرة انتشرت في تلك الحقبة من تاريخ الكنيسة. أعني بها المجامع المسكونية. فلم تكن نتائج تلك المجامع الجماعية. وما كان المجتمعون يخرجون فيها برأي واحد، كما حدث مثلاً في أول مجمع كنسي ورد ذكره في أعمال ١٥، بل كانوا يأخذون رأي الأغلبية. وليس هذا بعجيب فعندما يُنحى الروح القدس- المرشد الوحيد- جانباً، وتصبح كلمة الله، الكتاب المقدس، مصدراً ثانوياً لا رئيسياً لمعرفة فكر الرب، ويصبح رأي الأساقفة هو المطلوب معرفته، فلا غرابة ألاَّ يخرج الجميع برأي واحد (قارن أع١٥: ٢٢، ٢٥، ٢٨).

ورأي الأكثرية ليس هو بالضرورة الرأي الصواب. بل إننا إذا تتبعنا كلمة الله سنجد بوضوح أن الأكثرية ما اختارت قط طريق الطاعة للرب. وهو عين ما نره هنا. فرأي الأكثرية كان على النقيض من رأي بولس. ذلك لأن الأكثرية تتبع التقليد لا الحق الكتابي. وآه ما أندرهم اليوم أولئك الذين يهتمون في المقام الأول لا برأي الناس بل "ماذا يقول الكتاب" (رو٤: ٣، ١١: ٢).

ثم لاحظ أن هذا الرأي كان رأي الأكثرية لا رأي الكل. وهذا معناه أنه كانت هناك بقية لا توافق رأي الأكثرية الخاطئ، ولم تتبع الكثيرين إلى فعل الشر (خر٢٣: ٢). وهو نفس ما نراه في خطاب الروح إلى ملاك كنيسة برغامس (رؤ٢: ١٢- ١٧). فمع وجود المتمسكين بتعليم بلعام وتعليم النيقولاويين، كانت هناك أقلية مختلفة متمثلة في أنتيباس الشاهد الأمين للحق والذي ختم شهادته باستشهاده ففاز بأن دعاه المسيح "شهيدي الأمين".

ومن المعزي أخيراً أن نلاحظ أنه رغم أن الرحلة لم تتبع رأي بولس ولا عمل المسئولون بكلامه إلاَّ أن بولس نفسه ظل موجوداً في الرحلة ومعه أيضاً أرسترخس "خير حاكم". وفي الدور الخامس والسادس سوف نعود ونستمع إلى بولس. وهكذا مع أنه حدث التحول والانحراف عن الحق بصفة عامة في هذا الدور، لكن في الدور الخامس والسادس حدثت استعادة مباركة للحق كما سنرى في حينه.

قد كنت قبلاً عوننَا ولم تزلْ أيضاً تعين

لذا إليـك كلُنا ما زلنا دوماً ناظرين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

[١] -مختصر تاريخ الكنيسة لأندرو مولر- الجزء الأول- ص٢٦٢، ٢٦٣

[٢] -تعني النخل بحسب دافيدسون وطمسون وبوتس وجاكسون، كما تعني الأرجوان أو القرمز بحسب موسوعة john D. Davis.

[٣] -يرى البعض أن الشمال في الكتاب المقدس يرمز إلى عرش الله أو السماء. فلقد أراد الشيطان أن يصعد إلى السماء وأن يجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال (أش١٤: ١٣). والجنوب على العكس يرينا صورة للعالم. فلقد ارتحل أبرام ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب. وانتهى به المطاف إلى مصر أي العالم.

[٤] -إنه أمر مؤسف أن يكون أول إنسان يختلس مقام رئيس الكنيسة هو الإمبراطور قسطنطين الذي أشرنا إليه فيما سبق، والذي يذكر عنه التاريخ أنه ظل محتفظاً لنفسه بمقام الكاهن العظيم للوثنيين، ولم يتخل عنه قط، ومات وهو حائز على اللقبين معاً: رئيس الكنيسة وكاهن الوثنيين الأعظم (مختصر تاريخ الكنيسة لأندرو مولر ص٢٦٤).

[٥] -نسمع أحياناً بالأسف من بعض رجال الدين من يستخدم مثل هذه التعبيرات: كنيستي أو رعيتي أو شعبي**!!** مع أن الكنيسة هي "كنيسة الله" (أع٢٠: ٢٨، ١تي٣: ٥) والرعية "رعية الله" (١بط٥: ٢) انظر أيضاً مت١٦: ١٦، يو٢١: ....الخ.

[٦] -اعترف مجمع هبو"Hippo" الذي انعقد عام ٣٩٣م بقانونية أسفار العهد الجديد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الدور الرابع: العصور المظلمة

(ع١٤- ٢٠)

ابتداء من القرن السابع الميلادي

"ولكن بعد قليل هاجت عليها ريح زوبعية يقال لها أوركليدون. فلما خُطفت السفينة ولم يمكنها أن تقابل الريح سلمنا فصرنا نحمل. فجربنا تحت جزيرة يقال لها كلودي. وبالجهد قدرنا أن نملك القارب. ولما وضعوه طفقوا يستعملون معونات حازمين السفينة. وإذ كانوا خائفين أن يقعوا في السيرتس أنزلوا القلوع، وهكذا كانوا يُحملون. وإذ كنا في نوء خفيف جعلوا يفرغون في الغد. وفي اليوم الثالث رمينا بأيدينا أثاث السفينة وإذ لم تكن الشمس ولا النجوم تظهر أياماً كثيرة، واشتد علينا نوء ليس بقليل، انتزع أخيراً كل رجاء في نجاتنا".

هذا الدور من رحلة بولس يتطابق مع الدور الرابع في رحلة المسيحية أي دور كنيسة ثياتيرا والذي تميزه الملامح التالية:

١-ظلمة الوثنية تغزو المسيحية.

٢-ضياع محتويات المسيحية بصفة عامة.

٣-ضياع الأمل نهائياً.

أولاً: ظلمة الوثنية تغزو المسيحية:

لقد بدأت في هذه المرحلة ما دعاه المؤرخون بالعصور المظلمة. وسر ظلامها "كما فهمنا في الدور السابق" هو الانحراف عن كلمة الله. "إلى الشريعة وإلى الشهادة. إن لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر" (إش٨: ٢٠) وعندما أزيحت كلمة الله جانباً، ثم حُجبت عن الأنظار، فقد حلت محلها بكل أسف الخرافات البالية العجائزية التي لا حصر لها. كيف يحدث هذا في المسيحية؟ الإجابة سنفهمها ونحن ندرس هذه المرحلة من رحلة الرسول بولس إلى رومية إذ يقول المؤرخ الإلهي "لكن بعد قليل هاجت عليها "أي على السفينة" ريح زوبعية يقال لها أوروكليدون فلما خُطفت السفينة ولم يمكنها أن تقابل الريح سلمنا فصرنا نحمل" (ع١٤، ١٥). وكلمة أوروكليدون تتكون من مقطعين: "أويروس" وهي كلمة يونانية تعني ريحاً شرقية و "أكويلو" وهي كلمة لاتينية تعني ريحاً شمالية. ولهذا فقد اصطلح الملاحون على تسمية الرياح الزوبعية القادمة من الشرق والشمال باسم أوروكليدون[١].

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الشرق والشمال، ما المدلول الروحي لهما؟ إننا على سبيل المفارقة نذكر قول موسى في بركته لنفتالي "يا نفتالي اشبع رضى وامتلئ بركة من الرب. واملك الغرب والجنوب". فإن كان الغرب والجنوب هما مرادفان لرضى الرب وبركته، فلنا أن نتصور ماذا يكون الشرق والشمال!

إن الشرق في كلمة الله يشير إلى البعد عن الله وإلى الوثنية (تك٣: ٢٤، ٤: ١٦، ١١: ٢، إش٢: ٦، خر٨: ١٦... الخ) بينما الشمال هو مصدر الرياح العاتية العاصفة "كما مرّ بنا في الدور السابق- حز١: ٤". إذاً فلقد هبت على المسيحية في ذلك الدور ريح وثنية هائجة اقتلعت واكتسحت كل ما هو أمامها حتى قيل "لما... لم يمكنها "أي السفينة" أن تقابل الريح سلمنا فصرنا نُحمل". وهكذا يخبرنا التاريخ أن تعليماً فاسداً أعقب تعليماً آخر فاسداً دخل إلى المسيحية، وانفلت الزمام حتى تم القول "سلمنا فصرنا نُحمل".

أيمكننا أن نتخيل أن الذي كان يرفض السجود للتماثيل في ذلك الوقت كان يعتبر هرطوقياً! وأن الإمبراطورة ثيودورا- التي تعتبرها الكنيسة البابوية قديسة قد قتلت في زمن قصير مائة ألف شخص لا لشيء إلاَّ لأنهم رفضوا السجود للتماثيل[٢]!! إن كان من يرفض السجود إلاَّ لله يعتبر في نظر الكنيسة هرطوقياً ويُقتل، فأي عصور مظلمة هذه؟ وأية وثنية مرعبة تلك؟!

ودعنا نتذكر في عجالة أمثلة قليلة عن التعاليم الغريبة عن المسيحية التي انتشرت في ذلك الوقت[٣]والتي يرجع الكثير منها إلى الأفكار الوثنية.

*القرن السابع: أعتُبر البابا في روما أنه خليفة بطرس ورئيسا للكنيسة ومحل ابن الله على الأرض "نحو عام ٥٩٠م". ونحو عام ٦٠٠م تم نشر التعليم الخاص بالمطهر. وفي نفس الزمن أيضاً انتشر احترام آثار القديسين، والحج إلى الأماكن المقدسة. ثم إدخال الصور والتماثيل إلى أماكن العبادة للتبرك بها.

*القرن الثامن: دخلت عبادة الأيقونات وانتشر السجود للتماثيل والصلاة لها وتقبيلها، وتحليتها بالجواهر.

*القرن التاسع: إدخال عقيدة الاستحالة "ثم تثبيتها بعد ذلك في مجمع لاتيران في القرن الثالث عشر". وكذلك حكاية الماء المقدس.

*القرن العاشر: الطقس الخاص بمسحة المرضى.

*القرن الحادي عشر: عبادة العذراء وتثبيت ذلك رسمياً على يد البابا إربان الثاني في مجمع كليرمينت عام ١٠٩٥م.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

*القرن الثاني عشر: الأسرار السبعة. ثم تثبيتها في مجمع لاتيران في القرن الثالث عشر.

*القرن الثالث عشر: سن عيد صعود العذراء إلى السماء. وتثبيت مسألة كرسي الاعتراف في مجمع لاتيران عام ١٢١٥م. وكذلك عبادة القربان المقدس. والقداسات لأجل الموتى.

ناهيك عن مهازل الحروب الصليبية وبعدها صكوك الغفران وبعدها محاكم التفتيش... الخ الخ.

ثانياً: ضياع محتويات المسيحية:

"إذ كنا في نوء جعلوا يفرغون في الغد. وفي اليوم الثالث رمينا بأيدينا أثاث السفينة". وهذا يعني تفريغ المسيحية من محتوياتها العظيمة مثل كمال وكفاية عمل المسيح وعدم تكراره. كمال وكفاية كلمة الله، الكتاب المقدس الذي يجعل إنسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح. وكهنوت جميع المؤمنين وسجودنا الآن في الأقداس السماوية باعتبار المسيح هو كاهننا الأعظم. بالإجمال ما عاد للمؤمنين ضمير مُكمَّل وسلام قلبي على ذبيحة المسيح الكاملة. وفي جو كهذا ليس بمستغرب أن يُنبذ مبدأ الخلاص كلية، وتتحول حقيقة الخلاص في نظر البعض إلى "بدعة الخلاص"!! وليس عجيباً أن ترد في هذا الدور من الرحلة هذه الكلمة الصعبة "انتزع أخيراً كل رجاء في نجاتنا".

ثم يقول "وإذ لم تكن الشمس ولا النجوم تظهر أياماً كثيرة". إنها بحق عصور مظلمة. فلا نور في النهار ولا نور في الليل! ثم إن احتجاب السماء عن ركاب السفينة يشير إلى أن الدعوة السماوية قد غابت عن الكنيسة وفقدت المسيحية طابعها السماوي. فتجاهل المعلمون في هذا الدور دعوة الله العليا في المسيح يسوع، وتحولت المسيحية إلى ديانة عالمية، أو بالأسف إلى واحدة من ديانات[٤] هذا العالم المختلفة.

بعد ذلك يقول الكتاب "لما حصل صوم كثير" (ع٢١). وهذا معناه أن ركاب السفينة في تلك المرحلة لم يكونوا محرومين من النور فقط. بل من الطعام أيضاً. فأولئك الذين تحولوا عن كلمة الله في الدور السابق، واكتسحتهم الأفكار والمبادئ الوثنية في هذا الدور نجدهم بالأسف في ظلمة وبلا طعام، فكلمة الله هي الضياء وهي الغذاء. ومسكين كل إنسان محروم من كلمة الله. ليس له طعام يسند قلبه ولا نور ينعش نفسه.

ولهذا يقول لوقا "جرينا تحت جزيرة يقال لها كلودي". وكلودي تعني صوت النوح[٥]. لأنه إذ فقدت المسيحية محتوياتها السماوية العظيمة فقد فقدت أيضاً طابع الفرح السماوي، واختفى صوت التسبيح: الترنيم للخلاص الأكيد والرجاء السعيد. هذا كله ضاع، واتشحت المسيحية برداء الزهد والتصوف وتذليل الجسد والرعب من الأبدية. نعم إن كلودي أي صوت النوح كان هو طابع المسيحية في العصور الوسطى، العصور المظلمة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثالثاً: ضياع الأمل:

لما هاجت الريح الزوبعية أوروكليدون على السفينة وخطفت السفينة ولم يمكنها أن تقابل الريح يقول الوحي "سلمنا فصرنا نُحمل". وهذا التسليم ليس هو تسليم الثقة في الله- كما يقتبس البعض هذه الآية خطأ- بل إنه كما تدل عليه قرينة الكلام- تسليم اليأس والاستسلام. لقد وصل بهم الأمر إلى الحد الذي يقال فيه "انتزع أخيراً كل رجاء في نجاتنا" (ع٢٠). وهو نفس ما تؤكده كلمة الله. إن من يدرس رسائل تيموثاوس الثانية وبطرس الثانية ورسائل يوحنا ورسالة يهوذا، تلك الرسائل التي تحدثنا عن أيام الارتداد النهائية، الأزمنة الصعبة، يعرف أنه لا أمل أن تعود الكنيسة في مجموعها إلى استعادة حالتها الأولى حتى يأتي الرب ويختطف الكنيسة الحقيقية، ويتقيأ الكنيسة الاسمية من فمه.

لقد تعرضت السفينة في هذا الدور إلى سبع مصاعب خطرة نذكرها فيما يلي دون تعليق:

١-هاجت عليها الريح الزوبعية، فخُطفت السفينة. فاستسلموا وصاروا يُحملون.

٢-كاد قارب النجاة نفسه يُفقد. وبالجهد قدروا أن يملكوه "وكان قارب النجاة يربط بحبل تجره السفينة خلفها ليكون واسطة للنجاة عند اللزوم". حتى هذا كان سيضيع. فاضطروا إلى رفعه إلى السفينة.

٣-كادت السفينة تتكسر. فاستلزم الأمر تحزيم السفينة أي شد وسطها بالحبال.

٤-خافوا من أن يقعوا على السيرتس "الرمال المتحركة الزلقة"، فانزلوا القلوع وبهذا فإنهم فقدوا السيطرة على السفينة تماماً.

٥-في اليوم التالي أفرغوا من حمولة السفينة ما يمكن الاستغناء عنه. وفي اليوم الثالث رموا أثاث السفينة. وهذه الخسارة تذكرنا بما صار قديماً لسفينة يونان المتجهة إلى ترشيش "التي تعني خراب أو هلاك".

٦-ظلمة حالكة دامسة: فلا الشمس ولا النجوم كانت تظهر واستمر الحال على هذا المنوال أياماً كثيرة. وفي ذلك الزمان الغابر لم يكن شيء أكثر خطراً لدى النوتية من استمرار تلبد الجو بالغيوم إذ كانوا معتادين على الاسترشاد في سيرهم بالأجرام السماوية.

٧-يأس مطبق: إذ اشتد عليهم نوء ليس بقليل، انتزع أخيراً كل أمل في النجاة.

ما أقسى تلك الفترة من الرحلة، وما أرهب تلك الأيام والليالي على ركاب السفينة التي لا يقدّر رعبها إلاَّ من اختبرها. وما أصعب تلك العبارة التي تختم هذه المرحلة "انتزع أخيراً كل رجاء "كل رجاء" في نجاتنا".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أليست هذه حالة الكنيسة في أواخر العصور الوسطى المظلمة؟ من كان يظن أنه سيعود للمسيحية يوماً مفهومها ومعناها بعد كل ما صار لها على أيدي البشر في عصور الجهل والظلام!!

لكننا سنرى في الدور التالي كيف تداخل الله.

"الله لنا إله خلاص. وعند الرب السيد للموت مخارج" (مز٦٨: ٢٠).

إذا خضتَ لُجَّ المياهِ العميق

فلا تقدِرَنَّ عليكَ اللجَجْ

أنا لك في الضيقِ نعمَ الرفيق

وضيقُك أبدلُه بالفرجْ

فما نال كيدُ العدوِ الخصيم

ولا خابَ من ليسوعَ استند

وإن قامَ يغزوه باب الجحيم

فلست بتاركِه للأبــد

---

[١] -ترد هذه الآية في الترجمة التفسيرية هكذا"ولكن ريحاً عاصفة تعرف بالشمالية الشرقية هبت بعد قليل".

[٢] -انظر مختصر تاريخ الكنيسة لأندور مولر ص٢٠٤

[٣] -مجمعة من كتاب مختصر تاريخ الكنيسة لأندرو مولر وكتاب "The Two Babylon" لألكسندر هيسلوب، وبعض الموسوعات الكتابية.

[٤] -انظر الفارق بين المسيحية والديانات العالمية في الفصل التاسع من كتاب "الشيطان" للمؤلف.

[٥] -بحسب قاموس بوتس.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الدور الخامس: نهضة الإصلاح الديني

(ع٢١- ٢٦)

القرن السادس عشر الميلادي

"فلما حصل صوم كثير حينئذ وقف بولس في وسطهم وقال كان ينبغي أيها الرجال أن تذعنوا لي ولا تقلعوا من كريت فتسلموا من هذا الضرر والخسارة. والآن أنذركم أن تُسروا لأنه لا تكون خسارة نفس واحدة منكم إلاَّ السفينة. لأنه وقف بي هذه الليلة ملاكُ الإله الذي أنا له والذي أعبده قائلاً لا تخف يا بولس ينبغي لك أن تقف أمام قيصر. وهوذا قد وهبك الله جميع المسافرين معك. لذلك سُروا أيها الرجال لأني أؤمن بالله أنه يكون هكذا كما قيل لي. ولكن لا بد أن تقع على جزيرة".

هذا الدور من رحلة بولس يتطابق مع فترة الإصلاح العظيم الذي حدث في أوائل القرن السادس عشر. ونلاحظ هذه المرة أننا لا نجد تشابهاً كبيراً بين هذه المرحلة من الرحلة وبين دور كنيسة ساردس في رؤيا ٣ ذلك لأن كنيسة ساردس لا تحدثنا بالضبط عن الإصلاح بل عن الحالة بعد الإصلاح، أي بعد أن ذهبت روعة الحق وحرارته الأولى وحلت محلها الشكليات الميتة[١].

وتتميز فترة الإصلاح المباركة بما يلي:

١-العودة إلى كلمة الله.

٢-عودة المناداة بالخلاص بالإيمان.

٣-الأمان واليقين والبهجة.

أولاً: العودة إلى كلمة الله:

تحدثنا الآية الأولى من هذه الفقرة عن الصوم الكثير الذي حدث وهو كما فهمنا يشير روحياً إلى صوم من نوع آخر استمر مئات السنين عندما انقطع تقديم كلمة الله إلى النفوس، إذ "كانت كلمة الرب عزيزة في تلك الأيام" أقصد أيام العصور المظلمة. وحلت بالأسف خرافات البشر محل كلمة الله النقية. لكن الوحي يقول "لما حصل صوم كثير حينئذ وقف بولس في وسطهم وقال".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لقد سبق تكلم بولس في الدور الثالث من الرحلة، لكن أحداً لم يستمع إليه. ولهذا فإن بولس لا يرد ذكره في الدور الرابع على الإطلاق. لكن هنا في هذا الدور يعود بولس إلى الكلام مرة ثانية.

وبولس كما فهمنا يمثل صوت الله المتكلم إلينا. إذاً لقد عادت كلمة الله إلى المؤمنين. وأول ما يتكلم به بولس هو كلمات التوبيخ "كان ينبغي أيها الرجال الإخوة أن تُذعنوا لي ولا تقلعوا من كريت فتسلموا من هذا الضرر والخسارة".

لماذا يقول بولس هذا الكلام؟ ألعل بوسعهم العودة من حيث أتوا؟ أفي مقدورهم إرجاع الزمن إلى الوراء؟ أو بإمكانهم تعويض ما خسروه؟ كلاَّ بالطبع. وليس غرض بولس أنهم يرجعون بالسفينة إلى موضع جغرافي مختلف، بل يرجعون بالقلي تائبين كقول الرب "فاذكر من أين سقطت وتب" (رؤ٢: ٥).

ثم يواصل بولس كلامه "لأنه وقف بي هذه الليلة ملاك الإله الذي أنا له والذي أعبده قائلاً لا تخف يا بولس"... ثم يستطرد قائلاً "لني أؤمن بالله أن يكون هكذا كما قيل لي".

في هذا الجزء الصغير ترد ثلاث إشارات إلى قول بولس وقول الله. "وقف بولس في وسطهم وقال... وقف بي ملاك الإله الذي أنا له قائلاً... لأني أؤمن أن يكون هكذا كما قيل".

إن سر تبدل الحالة في هذه المرحلة لا يرجع إلى تحسن الظروف بل إلى عودة كلمة الله للمسافرين. وما أحلى الرجوع إليها. إن كلمة الله للمؤمن هي وحدها الصخر الذي لا يُزال. وكل ما عداها أساسات واهية كالرمال (مت٧: ٢٤). لقد كان أعظم عمل عمله رجال الإصلاح هو الرجوع إلى كلمة الله، ثم إخراج هذه الكلمة العظيمة من سجنها الذي سجنها فيه رجال الدين. نعم ما أحلى الرجوع إلى كلمة لله. كما اختبر ذلك إرميا النبي في ظروف مشابهة فقال "وُجد كلامك فأكلته. فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي" (إر١٥: ١٦). وما أعظم تأثير كلمة الله على النفوس. فآية واحدة هي "البار بالإيمان يحيا" كما سنرى بعد قليل- غيرت التاريخ بل وغيرت الجغرافيا أيضاً!

لقد كان لوثر عظيماً في ثورته ضد جحافل الطغيان الديني، تلك الثورة التي تمثلت في إحراقه لقرار الحرمان البابوي أمام جمع حاشد في محفل مهيب في ديسمبر ١٥٢٠. لكنه لم يكن أقل عظمة عندما انزوى هادئاً في قلعة وتنبرج في ألمانيا ليترجم الكتاب المقدس[٢]إلى اللغة الألمانية الحديثة ليفهمه الشعب وصدرت أولى طبعاته في سبتمبر ١٥٢٢. نعم إن النيران التي أحرق بها لوثر منشور البابا أشعلت نيران نهضة عظيمة في كل أوربا، لكن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كلمة الله التي ترجمها أوقدت نوراً ساطعاً بدل ظلمات الجهل التي أطبقت على العقول والقلوب لمئات من السنين.

ثانياً: المناداة بالخلاص بالإيمان:

يُختم الدور السابق بما يمكن اعتباره مرثاة أليمة "أُنتزع أخيراً كل رجاء في نجاتنا". أما الآن فعلى العكس، نسمع صوت بولس يدوي "أنذركم أن تسروا لأنه لا تكون خسارة نفس واحدة منكم إلاَّ السفينة. لأنه وقف بي هذه الليلة ملاك الإله الذي أنا له والذي أعبده قائلاً لا تخف يا بولس ينبغي لك أن تقف أمام قيصر. وهوذا قد وهبك الله جميع المسافرين معك".

إن كلمة الله حملت الأمان والاطمئنان إلى قلوب المسافرين مع بولس فتبدل معهم. وهو نفس ما حدث في هذه المرحلة من رحلة الكنيسة فإن آية واحدة- كما ذكرنا- وهي "البار بالإيمان يحيا" (غل٣: ١١، رو١: ١٧، عب١٠: ٣٨) أنارت ذهن لوثر، وجعلته يلقى عن كاهله خرافات الكنيسة البابوية من محاولة الحصول على الخلاص بالأعمال أو شرائه بالأموال "مهزلة صكوك الغفران" أو استجدائه من رجال الدين عن طريق كرسي الاعتراف أو ذبيحة القداس. هذا البنيان الضخم، لكن الواهي، انهار تماماً أمام آية واحدة "البار بالإيمان يحيا".

ليس معنى ذلك أنه لا توجد سوى هذه الآية التي تتحدث عن هذه الحقيقة الجوهرية "مع أنها كافية" بل الكتاب المقدس كله يشهد أن كل عطايا الله العظمى هي بالنعمة من جانب الله وبالإيمان من جانب الإنسان. نعم الإيمان وحده، الإيمان البسيط، الإيمان الشخصي بالمسيح كمن أُسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا تهب الإنسان الخاطئ غفراناً (أع١٠: ٤٣) وللمذنب تبريراً (رو٣: ٢٢، ٥: ١) وللهالك خلاصاً (أع١٦: ٣١، أف٢: ٨) وللميت حياة (يو٣: ٣٦، ١يو٥: ١٣) وللنجس تطهيراً (أع١٥: ٩) وللمهزوم نصرة (١يو٥: ٤، ٥)، بالإجمال تعطي كل ما قصد الله أن يهبه بالنعمة للإنسان.

ثالثاً: الأمان واليقين والبهجة:

جميلة هذه الثلاثية التي ميزت تلك المرحلة من الرحلة بعد المرحلة السابقة التي ميزها الخوف واليأس وصوت النواح!

استمع إلى ما قاله الله لبولس بواسطة الملاك: "لا تخف يا بولس" وكلمة واحدة من الله كافية لأن تزيل الخوف تماماً، وتملأ القلب سلاماً سواء من جهة الأبدية، أو من جهة الأعواز اليومية. فمن جهة الأبدية يقول الكتاب "إذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح" (رو٥: ١) ومن جهة مشوار البرية قال المسيح "سلامي أعطيكم" (يو١٤: ٢٧)!

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نعم لقد ميزت الشجاعة رجال هذا الدور وزال الخوف من قلوب أولئك الأبطال. خذ على سبيل المثال رجل الإصلاح العظيم لوثر. لقد قضى ليلة لا تُنسى في تاريخ الإصلاح وهو في طريقه ليحاكم أمام ممثل البابا، قضاها في صرع وجهاد أمام الله. وفي الصباح لما سئل لوثر هل سيتراجع ويسحب كل مؤلفاته السابقة، صاح صيحته الشهيرة الهادرة "لا أستطيع أن أسحب أقوالي ولن أسحبها... هذا هو موقفي ولا أستطيع أن أفعل غير ذلك. الله عوني وناصري. آمين".

يواصل بولس سرد ما قاله له الملاك "ينبغي أن تقف أمام قيصر" وعندما يقول الله إنه ينبغي أن يقف أمام قيصر فأية عواطف تلك التي تقدر أن تمنع وصول بولس إلى رومية؟ ثم يستطرد بولس عن فم الملاك فيقول "وهوذا قد وهبك الله جميع المسافرين معك".
وعندما تقول السماء هذا فأية قوة جهنمية تقدر أن تؤذي أضعف واحد من المسافرين مع بولس؟؟ لقد امتلأ قلب بولس لا بالإيمان فقط بل باليقين أيضاً. وما أعظم اليقين الذي للمؤمن الآن. نحن أيضاً بوسعنا أن نقول بملء اليقين "مِن ثَم يقدر "المسيح" أن يخلص أيضاً إلى التمام "إلى نهاية المشوار" جميع الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم" (عب٧: ٢٥).

ثم يقول بولس لذلك سُروا أيها الرجال لأني أؤمن بالله أن يكون هكذا كما قيل لي". ومن نصيبنا نحن أيضاً أن نُسر ونفرح في الرب كل حين (في٤: ٤).

في قول الملاك "لا تخف" نرى الأمان.

وفي القول "ينبغي" نرى اليقين.

وفي القول "سُروا" نرى البهجة.

هكذا تداخل الرب له المجد بنعمته لتغيير اللحن الحزين الذي ميز الدور السابق في الرحلة بهذا الحق الثلاثي الجميل: الأمان واليقين والبهجة. إنها تذكرنا بما ورد في رو٥: ١، ٢.

"فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح".

هذا هو الأمان

"الذي به قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون".

هنا نرى اليقين

"ونفتخر "أي نفرح" على رجاء مجد الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فما أعظم البهجة

عين تحرسنا وإيد تواسينا

وهيعدينا لحد سمـــاه

مهما الغربة تبان لينا صعبة

هترسي المركب وهنلقاه

سر حياتنا ده هو يسوع

بنرنمها بصوت مسموع

هو الكلمة وهو اللـه

هو بموته عطانا حيـاه

---

[١] -يمكن القول إن رحلة الكنيسة بحسب رؤيا٢، ٣ تحدثنا بالأكثر عن فشل الإنسان تحت المسئولية إذ أن الرب يسوع يُرى في وسط السبع المناير كابن الإنسان الذي يبتدئ القضاء من وسط شعبه. أما أعمال ٢٧ فنرى فيها بالأكثر جانب أمانة الرب ونعمته. وهذا يُشبه إلى حد ما سرد تاريخ الشعب الأرضي في سفري الملوك وفي سفري أخبار الأيام على التوالي.

[٢] -وقبل لوثر بسنوات عديدة ظهر وبكليف صاحب أول ترجمة للكتاب المقدس إلى الإنجليزية. ثم جاء تندال الذي اختبأ من غضب كنيسة إنجلترا في نفس قلعة وتنبرج مع لوثر، وترجم الكتاب المقدس إلى الإنجليزية ترجمة أحدث ليست كسابقاتها معتمدة على ترجمات أخرى، بل ترجمة مباشرة من العبرية واليونانية. وقد دفع هذان الأخيران حياتهما ثمناً لعملهما العظيم. كما نبشت قبر وبكليف وأخرجت عظامه وأحرقتها. لكنها لم تقدر أن تلاشي الأثر العظيم لعملهما. لقد خرجت كلمة الله من حبسها وصارت طعاماً شهياً للمؤمنين بدلاً من خرافات رجال الدين التي لا تفيد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الدور السادس: النهضة الختامية

(ع٢٧- ٣٧)

أوائل القرن التاسع عشر

فلما كانت الليلة الرابعة عشرة ونحن نُحمل تائهين في بحر أدريا ظن النوتية نحو نصف الليل أنهم اقتربوا إلى بر فقاسوا ووجدوا عشرين قامة. ولما مضوا قليلاً قاسوا أيضاً فوجدوا خمس عشرة قامة. وإذ كانوا يخافون أن يقعوا على مواضع صعبة رموا من المؤخر أربع مراس وكانوا يطلبون أن يصير النهار. ولما كان النوتية يطلبون أن يهربوا من السفينة وأنزلوا القارب إلى البحر بعلة أنهم مزمعون أن يمدوا مراسي من المقدم قال بولس لقائد المئة والعسكر إن لم يبقَ هؤلاء في السفينة فأنتم لا تقدرون أن تنجوا. حينئذ قطع العسكر حبال القارب وتركوه يسقط. وحتى قارب أن يصير النهار كان بولس يطلب إلى الجميع أن يتناولوا طعاماً قائلاً هذا هو اليوم الرابع عشر وأنتم منتظرون لا تزالون صائمين ولم تأخذوا شيئاً. لذلك ألتمس منكم أن تتناولوا طعاماً لأن هذا يكون مفيداً لنجاتكم لأنه لا تسقط شعرة من رأس واحد منكم. فصار الجميع مسرورين وأخذوا هم أيضاً طعاماً. وكنا في السفينة جميع الأنفس مئتين وستة وسبعين".

هذه المرحلة من رحلة الرسول بولس تذكرنا بالدور السادس في رحلة الكنيسة، دور النهضة الفيلادلفية (رؤ٣: ٧- ١٣). وكم غالية في عيني الرب كنيسة فيلادلفيا هذه (رؤ٣: ٧- ١٣) إذ لم يوجه لها الرب أي لوم، بل مدحاً فقط. وكم هي هامة في عيني الروح القدس تلك الفترة القصيرة من التاريخ المسيحي. ونستشف ذلك من أن تلك المرحلة من الرحلة استغرقت مساحة في سرد المؤرخ بالروح القدس أكثر مما استغرقت أي مرحلة أخرى من الرحلة. وقد تميزت تلك المرحلة من تاريخ الكنيسة بثلاثة أمور هامة وعظيمة:

١-استعادة رجاء مجيء الرب.

٢-استعادة الحقائق المسيحية تماماً.

٣-الرجوع الكامل إلى كلمة الله.

وهيا بنا نحن أيضاً نحذ حذو الروح القدس فنمر بتأني لنتأمل هذه الأمور المجيدة في رحلة الكنيسة وانطباقها تصويرياً في هذه المرحلة من رحلة الرسول في السفينة.

أولاً: استعادة رجاء مجيء الرب:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لقد فقدت المسيحية كما ذكرنا في الدور الرابع طابعها السماوي، ففقدت بالتالي الرجاء المبارك، رجاء مجيء الرب. وهذا عين ما قاله الرب في مثل العشر العذارى "يشبه ملكوت السماوات عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس.. وفيما أبطأ العريس نعسن جميعهن "أي العذارى الحكيمات والعذارى الجاهلات" ونمن". والقول "نعسن.. ونمن" هو عكس سهرن. وإذا كان السهر يعني انتظار مجيء الرب "انظر لو١٢: ٣٩) فإن النعاس العام يعني ضياع رجاء مجيء المسيح كالعريس من المسيحيين. لكن الرب يستطرد فيقول "وفي نصف الليل صار صراخ هوذا العريس "مقبل" فاخرجن للقائه فقامت جميع أولئك العذارى وأصلحن مصابيحهن" (مت٢٥: ١- ٦).

هذا ما حدث في دور النهضة الفيلادلفية حيث استعيد الحق الخاص بمجيء الرب لاختطاف الكنيسة وكان لاكتشاف هذا الحق الثمين دوى هائل كصرخةٍ في منتصف الليل. ونرى تلميحاً لمنتصف الليل هذا في رحلتنا عندما يُشير إلى أنه "نحو نصف الليل ظن النوتية أنهم اقتربوا إلى بر". ثم يواصل لوقا فيقول "وإذ كانوا يخافون أن يقعوا على مواضع صعبة رموا من المؤخر أربع مراس وكانوا يطلبون أن يصير النهار". وقيل الحديث عن النهار وعن المراسي الأربع فإننا نقول إن عبارة "كانوا يخافون" التي تفيد الإحساس بالضعف والعجز تذكرنا بقول الرب لملاك كنيسة فيلادلفيا "لأن لك قوة يسيرة".

ولأنهم كانوا يخافون فقد رموا من المؤخر أربع مراسي. وهذه كان من شأنها أن تحفظ السفينة في البحر العاصف ريثما يطلع النهار، وتحميها من الاصطدام بالصخور، ومن تكسرها. ويمكن تطبيق هذه المراسي الأربع على التحريض الرباعي الثمين التي تختم به رسالة يهوذا، رسالة الارتداد وطغيان الشر، إذ يقول يهوذا.

"وأما أنتم أيها الأحباء فابنوا أنفسكم على إيمانكم الأقداس، مصلين في الروح القدس. واحفظوا أنفسكم في محبة الله. منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح للحياة الأبدية" (يه٢٠، ٢١). ويا لهذه المراسي الأربع العظيمة لسفينة الإيمان في رسالة الأيام الأخيرة والشر الكاسح.

١-كلمة الله "ابنوا أنفسكم على إيمانكم الأقداس".

٢-الصلاة "مصلين في الروح القدس".

٣-محبة الله "احفظوا أنفسكم في محبة الله".

٤-مجيء الرب "منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح للحياة الأبدية".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وكم نحتاج كمؤمنين وقعت قرعتنا في هذه الأيام الصعبة أن ننتبه إلى مدلول تلك المراسي الأربع وأن نهتم بها.

المرساة الأولى هي كلمة الله. وبواسطة كلمة الله يصبح المؤمن قوياً. إنها سلاح المحارب، وعصا المسافر، وزاد الغريب، إنها دليل الأمناء في أيام الخراب. إنها بالإجمال كل شيء للمؤمن. وما أقوال البشر بالمقارنة معها إلاَّ رمال زلقة بالمقابلة مع الصخر. فلتكن كلمة الله لا أقوال البشر هي متكلك الوحيد.

والمرساة الثانية هي الصلاة. وإذا كان الكتاب المقدس هو ذات أنفاس الله[١]فإن الصلاة هي أنفاس القديسين. إن كل رجال الله في كل الأزمان رجال صلاة. ونحن في هذه الأيام الأخيرة أحوج ما نكون إلى الصلاة. وإذا اكتفى المؤمن بقراءة كلمة الله وأهمل الصلاة يكون عرضة للانتفاخ والكبرياء فيسقط. ولهذا يجب بعد أن نبدأ بالاستماع إلى كلمة الله إلينا أن نتكلم نحن معه بالصلاة. فتكون قراءة الكتاب المقدس والصلاة هما بمثابة الشهيق والزفير بهما معاً نعيش، ويكونان كجناحي الطائر بهما معاً نحلق عالياً (يو١٥: ٧، أف٦: ١٧، ١٨، عب٤: ١٢- ١٦).

والمرساة الثانية: حفظ نفوسنا في محبة الله. عندما يُغمر الإناء في مياه البحر الكبير يكون ماء البحر في الإناء، والإناء أيضاً يكون في البحر. وهكذا معنا. فلقد انسكبت محبة الله في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا (رو٥: ٥) لكن لا يجب أن نكتفي بذلك بل يجب أن تكون قلوبنا موجودة في محبة الله. هذا هو المجال الذي ينبغي أن يعيش فيه القديس. أو هو الجو الذي يحفظنا من مغريات العالم المتنوعة، وشهواته الكثيرة، وجاذبياته الخطرة. فاحفظ نفسك إذاً في محبة الله. إن من يحرص على التواجد المستمر في أشعة الشمس الدافئة سيحفظ نفسه من برودة جو الشتاء. هكذا من يحفظ نفسه في محبة الله سيحفظ نفسه من محبة العالم التي هي عداوة لله (يع٤: ٤، ١يو٢: ١٥).

والمرساة الرابعة: المرساة الأخيرة والعظيمة "منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح للحياة الأبدية" نعم إن رحمة ربنا يسوع الملازمة لنا كل أيام حياتنا (مز٢٣: ٦) هي لازمة لنا جداً بصفة خاصة في هذه الأيام الشريرة. ولنا أن ننتظر كل يوم رحمة جديدة من الرب حتى تأتي رحمته العظمى والأخيرة عندما يأتي ليأخذنا من هذا المشهد الخرب كيما نتمتع التمتع الكامل بالحياة الأبدية. هذا هو الرجاء المسيحي في نهاية الرحلة: وهو مرساة أمينة لنا "تكون لنا تعزية قوية نحن الذين التجأنا لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا الذي هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة تدخل إلى ما داخل الحجاب حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا" (عب٦: ١٨- ٢٠).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يقول لوقا إنهم بعد أن ألقوا المراسي الأربع "كانوا يطلبون أن يصير النهار". وإذا عدنا إلى التطبيق على رحلة الكنيسة نرى أن القديسين بعد أن ألقوا المرساة الرابعة "ومدلولها كما رأينا هو امتلاكهم لذلك الرجاء السعيد" طلبوا أن يصير النهار، وتشوقوا إلى "كوكب الصبح المنير" (رؤ٢٢: ١٦).

لقد شعر ركاب السفينة بالضعف بل والعجز على مواجهة العاصفة العاتية في مثل تلك الظلمة الحالكة فطلبوا بزوغ الفجر. وهكذا أيضاً في رحلة الكنيسة. فإذ شعر القديسون الفيلادلفيون في ذلك الدور بأن قوتهم يسيرة (رؤ٣: ٨) وعلموا حقيقة شر الأيام وصعوبتها، أيقنوا أن الأمل الوحيد هو مجيء الرب.

لكن عبارة "كانوا يطلبون أن يصير النهار" تفيد أيضاً أن مجيء الرب لم يكن فقط مجرد حقيقة عرفوها جيداً، بل كان غرضاً يطلبونه ويبتغونه (قارن عب١١: ١٤، ١٦). نعم هم عرفوا حقيقة مجيء الرب بذهنهم وتأكدوا منها، لكنه في المقام الأول كان رجاءً منعشاً أمام قلوبهم (انظر تي٢: ١٣). لقد صار شوق قلوب القديسين وتطلع أرواحهم في تلك المرحلة هو مجيء المسيح!

في مقدمة الأجزاء الخمسة لملخص الكتاب المقدس "synopsis" لرجل الله داربي ذكر أنه تردد كثيراً في كتابتها لأنه كان شاعراً بقرب مجيء الرب وأمام هذا الشعور اعتقد الأخ الفاضل أنه ربما لا تكون هناك فرصة للآخرين ليستفيدوا مما كان سيكتبه. إلى أن أقنعه الرب بالكتابة "وكم نشكر الرب من القلب على أنه كتب ذلك الكنز الثمين الذي بواسطته تبارك الكثيرون لكن هذا يرينا كيف كان الإخوة الأوائل يعيشون في حالة التوقع المستمر لمجيء الرب. لقد كانوا حقاً يطلبون أن يصير النهار.

لقد مرت في رحلة السفينة فترة طويلة كئيبة جداً. "لم تكن الشمس ولا النجوم تظهر أياماً كثيرة" (ع٢٠). وأما الآن فنقرأ عبارات منعشة: "كانوا يطلبون أن يصير النهار" (ع٢٩) ومرة ثانية "وحتى قارب أن يصير النهار" (ع٣٣). ونحن الآن إذ نعيش في ضوء انتظار مجيء المسيح يمكننا بصدق أن نقول "قد تناهى الليل وتقارب النهار" (رو١٣: ١٢).

ثانياً: استعادة باقي الحقائق المسيحية:

يبدأ هذا الدور بعبارة "فلما كانت الليلة الرابعة عشرة" (ع٢٧) ونلاحظ تكرار الرقم ١٤ في هذه المرحلة مرتين. في ع٢٧ وفي ع٣٣. والرقم ١٤ هو نفسه مكرر الرقم ٧ "١٤= ٧×٢". وفي الكتاب المقدس ٧ هو رقم الكمال، ٢هو رقم الشهادة (يو٨: ١٧). وفي تطبيقنا ليس عسيراً أن نفهم المدلول الروحي لذلك. لقد عادت الشهادة الكاملة إلى المسيحية كما سنرى الآن.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهناك كلمة أخرى ترد في هذه المرحلة من الرحلة أيضاً مرتين وهي كلمة "قاسوا" (ع٢٨). وقد نجد في تكرار هذه اللفظ أن كلمة الله كانت غالية جداً على الرجال الأفاضل الذين استخدمهم الرب في هذا الدور من رحلة الكنيسة. ولأنها كانت غالية جداً عليهم فقد دققوا في كل عباراتها وحاولوا فهم كل دقائقها. وكان شعارهم "كلمتك ممحصة جداً وعبدك أحبها" (مز١١٩: ١٤٠) وعندما يقول لوقا "قاسوا ووجدوا عشرين قامة. ولما مضوا قليلاً قاسوا أيضاً فوجدوا خمس عشرة قامة" فإنه يمكننا أن نرى أيضاً أن نور الحق وصل إلى هذه الجماعة الأمينة بالتدريج. لأن سبيل الصديقين كنور مشرق يتزايد وينير إلى النهار الكامل (أم٤: ١٨). لقد كانوا يتبعون بطاعة كل ما يعلنه الرب لهم فكان يعطيهم نوراً أكبر.

نحن نعرف أنه حدثت في تاريخ الكنيسة نهضتان: النهضة الأولى هي نهضة الإصلاح "الدور الخامس" وفيها استُعيدت كلمة الله كقانون المسيحية كما مر بنا. أما النهضة الثانية، وهي النهضة الفيلادلفية التي نتحدث عنها الآن ففيها استُعيدت ذات أقوال الله، والحق المذكور بها.

ولعل أهم هذه الحقائق التي استعيدت والتي نرى بخصوصها تلميحاً في تلك المرحلة من الرحلة هي ما يلي:

١-كسر الخبز: "ولما قال هذا أخذ خبزاً وشكر الله أمام الجميع وكسر وابتدأ يأكل" (أع٢٧: ٣٥).

غني عن البيان أن هذه الآية لا تحدثنا عن ممارسة صنع ذكرى موت الرب بل عن كسر الخبز العادي بغرض الأكل. لكننا في تطبيقنا نجد فيها تلميحاً واضحاً لاستعادة المؤمنين لممارسة كسر الخبز بالطريقة الكتابية البسيطة أنه منذ أيام المسيحية الأولى لم يمارس كسر الخبز بالبساطة التي تحدَّث الكتاب المقدس عنها إلى أن تم ذلك في شتاء عام ١٨٢٧ حيث اجتمع أربعة أشخاص في مدينة دبلن هم الإخوة: جون نلسون داربي، ودكتور ادوار كرونن، وفرنسيس هتشنسون، وجون جيفورد بلت، واجتمعوا معاً في بيت أحدهم وكسروا خبزاً. ولم يكن قصدهم في ذلك الوقت تكوين طائفة جديدة بل كان جل مقصدهم التمتع عملياً بممارسة الحق الذي اكتشفوه من كلمة الله وبالطريقة الكتابية. فاجتمعوا وكسروا خبزاً. وكانت هذه الاجتماعات تحت رياسة الرب وقيادة الروح القدس الساكن في المؤمنين أفراداً وفي الكنيسة جماعة بمثابة شرارة أوقدت نار نهضة كتابية مباركة انتشرت في كل ايرلندا والمملكة المتحدة، ثم القارة الأوروبية، بل وكل بلاد العالم أيضاً.

٢-ضمان المؤمن الأبدي واختياره الأزلي:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لقد أوضحت نهضة الإصلاح بواسطة لوثر ورفاقه أن الخلاص بالنعمة، وأنه بالإيمان. لكن جاء بعد رجال الإصلاح من نادي بأن المؤمن الحقيقي قد يرتد وقد يهلك. وهو ما نادى به أولاً راهب هولندي اسمه أرمينيوس عاش في أوائل القرن السابع عشر وعلَّم بأنه لا ضمان أبدي للمؤمن الحقيقي فهو قد يخيب من نعمة الله وفي هذه الحالة يهلك هلاكاً أبدياً بعد ما وُلد من الله وخُتم بالروح القدس! كما رفض أيضاً مبدأ الاختيار، اختيار الله المطلق والأزلي للمؤمنين، وتحدث عن اختيار مشروط- بمعنى أن الله اختار من كل يعلم هو أنه سيؤمن به وسيظل أميناً إلى النهاية. وكأن الإيمان هو من عندياتنا (انظر أف٢: ٨) وكأننا نحن الذين نحفظ أنفسنا في يد الآب ويد الابن (انظر يو١٠: ٢٨، ١بط١: ٥)! لكن عندما أتت النهضة الكتابية الفيلادلفية في القرن التاسع عشر فندّت تلك الآراء وأوضحت تماماً زيفها.

وهو ما نراه في تلك المرحلة من الرحلة في كلمات الرسول في ع٣٤، ع٣٧.

فأولاً يقول الرسول "لا تسقط شعره من رأس واحد منكم" (ع٣٤). وقد قال بولس هذا بكل يقين لأنه سمع من فم الملاك "وهبك الله جميع المسافرين معك". أما نحن فقد سمعناه من فم الله أننا محفوظون ليسوع المسيح (يه١) الذي "يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام (أي إلى آخر المطاف) الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم" (عب٧: ٢٥).

وبعدها يذكر لوقا في ع٣٧ "وكنّا في السفينة جميع الأنفس مئتين وستة وسبعين". وهذه أول إشارة إلى عدد الركاب. فالكل معروف ومضمون وصوله سالماً. وأما بالنسبة لنا فنحن لسنا فقط معروفين بأعدادنا بل بأسمائنا لأننا مختارون في المسيح من قبل تأسيس العالم. وهو سبق وعرفنا وعيننا لنكون مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين- ودعانا- وبررنا- ومجدنا (رو٨: ٢٩، ٣٠).

٣-وحدة الجسد:

كان أحد أبرز التعاليم التي أرستها حركة الإخوة في البداية باعتبارها تمثل أوضح ملامح النهضة الفيلادلفية هو مبدأ وحدة الجسد "جسد واحد وروح واحد" (أف٤: ٤) "لأننا بعضنا أعضاء البعض" (أف٤: ٢٥). لكن تلك الحركة المباركة تعرضت في وقت مبكر لمحاولة البعض إدخال مبدأ استقلالية الكنيسة المحلية. وترد إشارة عن هذا الأمر في هذه المرحلة من رحلة السفينة عندما نقرأ "ولما كان النوتية يطلبون أن يهربوا من السفينة وأنزلوا القارب إلى البحر بعلة أنهم مزمعون أن يمدوا مراسي من المقدم، قال بولس لقائد المئة والعسكر إن لم يبق هؤلاء في السفينة فأنتم لا تقدرون أن تنجوا. حينئذ قطع العسكر حبال القارب وتركوه يسقط".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لقد أراد النوتية أن يهربوا من السفينة فأنزلوا القارب إلى البحر بزعم أنهم سيمدون مراسي. والهروب بالقارب من السفينة يتضمن الإقرار بأن حالة السفينة أصبحت حالة ميئوساً منها، كما أنه أيضاً يتضمن محاولة إصلاح الوضع باعتبار شهادة صغيرة (القارب) على أساس أضيق من مبدأ الجسد الواحد الذي يشمل كل المؤمنين في كل العالم. الأمر الأول، أعني أن حالة المسيحية العامة أصبح ميئوساً منها هو مبدأ صحيح تماماً فبولس نفسه قال "لا تكون خسارة.. إلاَّ السفينة" (ع٢٢). أما الأمر الثاني، أي إنكار وحدة الجسد، باعتبار دائرة للشهادة أضيق من مبدأ وحدة الجسد، فهذا غير صحيح بالمرة. ولهذا فقد كان الهروب بالقارب خطأ. وهذا القارب بالإضافة إلى كونه يصور الحزبية والروح الطائفية التي نحن جميعاً معرضون لها باعتبار أن الـ "تخرب" (غل٥: ٢٠) هو من أعمال الجسد، فإنه يصور أيضاً الحركات والاجتماعات المختلفة التي اتسمت بروح الاستقلالية، تلك الروح التي بدأت تتسرب وسط شعب الله، حيث يجتمع الذين استنيروا وعرفوا الحق في جملته على مبدأ آخر غير مبدأ "جسد واحد وروح واحد".

كيف تصرف الأمناء في بداية حركة الإخوة عندما تعرضوا لمحاولة إدخال مبدأ الاستقلالية، أعني اعتبار الكنيسة المحلية مستقلة في القبول للشركة معها أو العزل منها، دون أن يكون ذلك ملزماً لباقي الكنائس؟ لقد تصدوا له بكل حزم على اعتبار أنه يتضمن إنكار لمبدأ وحدة الجسد[٢].

وهكذا فمع إقرار بولس بأن حالة السفينة سيئة، بل وميئوس منها. لكنه لم يوافق على مبدأ الهروب بالقارب من السفينة. ونحن أيضاً مع أننا نقر بفشل البيت الكبير "المسيحية" بصفة عامة، لكننا لا نقدر أن ننكر هذا المبدأ، مبدأ الجسد الواحد الذي يشمل كل المؤمنين الحقيقيين في كل مكان في العالم بغض النظر عن ارتباطاتهم الطائفية أو المذهبية. وإن كل من له فكر بولس عليه فوراً أن يقطع حبال القارب "أعني الحركات التي تتسم بروح الاستقلال" ليسقط في اليّم غير مأسوف عليه.

والملاحظ أن كل الذين يعتنقون مبدأ الاستقلالية[٣]ونفض أيديهم من الحالة العامة الخربة، إنما يفعلون ذلك تحت ستار إصلاح الأوضاع. "أنزلوا القارب إلى البحر بعلة أنهم مزمعون أن يمدوا مراسي من المقدم" ودائماً تجد عند البشر أعذاراً حسنة لأعمال غير حسنة. لكن لنتذكر قول الرب "من لا يجمع معي فهو يفرق" (مت١٢: ٣٠). فليس المهم فقط أن نجمع، بل أن نجمع معه، وفي توافق مع فكره.

ثالثاُ: الرجوع الكامل لكلمة الله:

نقرأ في (ع٣٠- ٣٢) "ولما كان النوتية يطلبون أن يهربوا من السفينة وأنزلوا القارب إلى البحر بعلة أنهم مزمعون أن يمدوا مراسي من المقدم، قال بولس لقائد المئة والعسكر إن لم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يبق هؤلاء في السفينة فأنتم لا تقدرون أن تنجوا. حينئذ قطع العسكر حبال القارب وتركوه يسقط". ولعلنا نتذكر أنه عندما تكلم بولس في مناسبة سابقة لم يستمع أحد له، إذ كان قائد المئة ينقاد إلى ربان السفينة وصاحبها أكثر مما إلى قول بولس (ع١٠، ١١). وهذا معناه أنه أتت فترة في تاريخ الكنيسة نُحيت فيه كلمة الله وأخذت مركزاً تابعاً لأقوال أهل الثقة وأهل الخبرة. لكن في دور النهضة الفيلادلفية لم يعلُ صوت على صوت كلمة الله.

وارتبط بالرجوع إلى كلمة الله ثلاثة أمور مباركة هي: الطعام والنور والسرور.

فنقرأ "كان بولس يطلب إلى الجميع أن يتناولوا طعاماً" (ع٣٣). لقد قدم بولس الطعام إلى كل الذين في السفينة أي إلى كل عائلة الله. وهكذا كانت النهضة الفيلادلفية بركة لا للذين ارتبطوا بها فقط بل لكل المؤمنين حتى الذين ظلوا في الأنظمة البشرية. وبعد أن كان طعام المؤمنين في أوقات سابقة هو مجرد تبن الخرافات والقصص الوهمية عادت حنطة الكلمة للمؤمنين[٤]. ونلاحظ أن الطعام الذي قدمه بولس إلى ركاب السفينة كان موجوداً في السفينة من البداية. فهو لم يقدم شيئاً جديداً ولا طعاماً هبط عليه من السماء، بل قدم لهم طعاماً كان موجوداً لكن بالأسف غير متمتع به. وهو عين ما حدث في تلك النهضة الكتابية. فالإخوة الأوائل لم يقدموا للمؤمنين شيئاً مستحدثاً ولا إعلاناً جديداً، بل إنهم في الواقع رفضوا تماماً ما يسميه الناس بالرؤى والإعلانات، وتمسكوا فقط بالمكتوب وبالرجوع إلى كلمة الله. ألم يمدحهم الرب قائلاً "حفظت كلمتي" (رؤ٣: ١٠)؟ نعم لقد عادوا إلى الحق الكتابي الذي كان منذ البدء في الكنيسة باعتبارها "عمود الحق وقاعدته" (١تي٣: ١٥).

يقول الوحي "وحتى قارب أن يصير النهار كان بولس يطلب إلى الجميع أن يتناولوا طعاماً قائلاً هذا هو اليوم الرابع عشر وأنتم منتظرون لا تزالون صائمين ولم تأخذوا شيئاً".

آه، ما أطول الفترة التي حُرم فيها المؤمنون من الطعام الروحي. لكن الآن ها بولس يطلب إليهم أن يتناولوا طعاماً. ومرة ثانية يقول بولس "لذلك ألتمس منكم أن تتناولوا طعاماً. ما أرق هذه الكلمات "يطلب إليهم" و "ألتمس منكم". وما أبعد هذه الروح عن الروح التي كانت سائدة في العصور المظلمة، روح تسلط رجال الدين على الشعب الأعمى المسكين، لغة الحرمانات واللعنات على من يجرؤ على أن يناقش أو يحاول أن يفهم أو حتى يتجاسر أن يقرأ بذاته كلمة الله. ثم يواصل الرسول قائلاً "لأن هذا يكون مفيداً لنجاتكم" ليس أننا إن لم نأكل سوف نهلك لأن بولس سبق وقال إن الله قد وهبه جميع المسافرين معه. وبعد ذلك قال إنه لن تسقط شعرة من رأس واحد (ع٣٤). كلا، بل إنه يقصد أن الطعام سيساعدهم على النجاة بمعنى أن الطعام للمؤمن لن يكون سبباً لوصوله إلى السماء بل معيناً له وهو في طريقه للسماء. إن التغذي بكلمة الله تجعل المؤمن ثابتاً أمام تشكيكات العدو وهجماته.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وكما ذكرنا لقد قدم الطعام لكل عائلة الإيمان لا لمن ارتبط بالحركة الفيلادلفية فقط. لهذا نقرأ هنا أن الكل أكل طعاماً، لكن لا نقرأ أن الكل كسر خبزاً. صحيح إن من حق كل أهل الإيمان أن يكسروا خبزاً، لكن بالأسف هناك كثيرين لارتباطهم الطائفية ونقص الشجاعة الأدبية التي تجعلهم ينفصلون إلى اسم المسيح وحده حرموا أنفسهم مما هو من حقهم كأولاد الله وكأعضاء جسد المسيح. لكن هذا لم يمنعهم من أن يتناولوا الطعام الروحي.

في الدور الرابع، كما رأينا، كان صوم ونوح وظلام. لكن الآن في الدور السادس تبدل الحال فأكلوا وصاروا مسرورين. وقبل طلوع النور حولهم طلع أولاً في قلوبهم، فاستحال اليأس الذي نتج بسبب احتجاب كلمة الله عن النفوس إلى ثقة ورجاء فنقرأ "كانوا يطلبون أن يصير النهار" (ع٢٩).

وحتى قارب أن يصير النهار كان بولس الساهر يطلب إلى الجميع أن يتناولوا طعاماً. كأن بولس في انتظار طلوع النهار كان يقوم بدور العبد الأمين الذي يعطي لخدم سيده العلوفة في حينها (لو١٢: ٤٢). وليت هذا يكون سلوك أصحاب المواهب دائماً فيعنوا اعتناءً تقوياً وروحياً بكل عائلة الإيمان لا بالذين تجمعنا معهم أفكار متشابهة. هكذا كان سلوك الأخوة الأمناء الأوائل الذين لازلنا حتى اليوم نتغذى ونتعزى بكتاباتهم المباركة والعميقة. تلك الكتابات التي تقدم لقطيع المسيح الغالي لا تراب الخرافات العجائزية ولا تبن المناقشات الفلسفية ولا قش المباحثات السخيفة والغبية بل الطعام القوي للبالغين. نعم إننا نتذكر بكل الشكر والسجود للرب أولئك الذين أعطانا إياهم المسيح رأس الجسد (أف٤: ٨، ١١)، الذين كلمونا بكلمة الله (عب١٣: ٧).

"فصار الجميع مسرورين وأخذوا هم أيضاً طعاماً". وهو نفس ما اختبره إرميا في أيام مشابهة إذ قال "وُجد كلامك فأكلته فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي" (إر١٥: ١٦).

لقد ترك المسافرون "كلودي" أي صوت النوح. واستعادت المسيحية طابعها الأصيل، طابع الفرح والتهليل. وعادت من جديد للمسيحية بساطتها في عهدها الأول حيث نقرأ في أول سفر الأعمال "كانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات... وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب مسبحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب" (٢: ٤٢- ٤٧).

في وسط الخوفِ العظيمْ نُهدي لكَ السجود

نحمد فضلَكَ القديمْ لأنـه يعـود

مادمت تحفظُ الحيـاة لا نـرهبُ الهلاك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في الضيقِ أو حينَ النجاة نكونُ في حِمـاك

[١] -العبارة اليونانية المترجمة "موحى به من الله" في الآية العظيمة "كل الكتاب هو موحى به من الله" (٢تي٣: ١٦) هي في الأصل اليوناني كلمة واحدة "ثيوبنوستوس" وتعني حرفياً أنفاس الله.

[٢] -هذا الفكر غير الكتابي أدى إلى الانقسام المحزن الذي حدث بين الإخوة عام ١٨٤٩.

[٣] -اعتبروا أن الكنيسة في صفتها العامة أصبحت غير منظورة وأنها ضاعت ولم يبق الآن كشهادة سوى الكنائس المحلية. وكل كنيسة مستقلة، ولا مسئولية متبادلة بين الواحدة والأخرى. لهم حرية لقبول أي شخص على أساس إيمانه وحالته الشخصية دون اعتبار الجماعة التي هو في شركة معها.

[٤] -من دلائل اهتمام الأخوة بإطعام قطيع المسيح في كل مكان هو ذلك الكم الهائل من المجلات والدوريات بالإضافة إلى الكتب والشروحات التي فسرت كل كلمة الله لكي تقدم الطعام الروحي لأهل الإيمان وإذا ذكرنا فقط على المجلات الدورية التي كانت تقدم الطعام للمؤمنين وتشرح لهم الكلمة الحية، فإننا نذكرعلى سبيل المثل أن الأخ جون نلسون داربي كان يصدر مجلة "الشاهد المسيحي" والأخ. ج. ب. ستوني "مجلة صوت للأمين" والأخ تشارلس هنري ماكينتوس مع الأخ أندرو مولر "جدد وعتقاء" والأخ وليم كلي "خزانة الكتاب المقدس" والأخ ولستون "المرسل الإنجيلي"... وغيرها الكثير.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الانحراف الأخير، والاختطاف

(ع٣٨- ٤٤)

أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين

"ولما شبعوا من الطعام طفقوا يخففون السفينة طارحين الحنطة في البحر. ولما صار النهار لم يكونوا يعرفون الأرض ولكنهم أبصروا خليجاً له شاطئ فأجمعوا أن يدفعوا إليه السفينة إن أمكنهم. فلما نزعوا المراسي تاركين إياها في البحر وحلوا ربط الدفة أيضاً رفعوا قلعاً للريح الهابة وأقبلوا إلى الشاطئ. وإذ وقعوا على موضع بين بحرين شططوا السفينة فارتكز المقدم ولبث لا يتحرك. وأما المؤخر فكان ينحل من عنف الأمواج. فكان رأى العسكر أن يقتلوا الأسرى لئلا يسبح أحد منه فيهرب. ولكن قائد المئة إذ كان يريد أن يخلص بولس منعهم من هذا الرأي وأمر أن القادرين على السباحة يرمون أنفسهم أولاً فيخرجون إلى البر. والباقين بعضهم على ألواح وبعضهم على قطع من السفينة. فهكذا حدث أن الجميع نجوا إلى البر".

هذه هي نهاية رحلة الرسول بولس وفيها نرى تحطيم السفينة ونجاة المسافرين. وهي تمثل الدور الأخير من رحلة الكنيسة الذي يميزه أمران:

١-الفشل المحزن والنهائي من جانب الإنسان.

٢-الأمانة والرحمة من جانب الله إلى النهاية.

أولاً: فشل الإنسان:

تكلمنا الأعداد الأربعة من هذا الجزء عن صورة الفشل الأخير والمحزن في تاريخ الكنيسة وهي تتشابه إلى حد كبير مع الصورة التي نجدها في خطاب الرب لملاك الكنيسة السابعة والأخيرة في رؤيا٣: ١٤- ٢٢، كنيسة اللاودكيين.

ما أمجد ما رأينا في الدور السابق، دور النهضة الفيلادلفية عندما استُعيد الحق واستُعيد طابع المسيحية الأصيل: الشبع والسرور والنور. لكن دعنا نتأمل ما صارت إليه الحالة في هذا الدور.

لقد حذر الرب ملاك كنيسة فيلادلفيا (الدور السادس)، في آخر أقواله إليه قائلاً تمسك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك" (رؤ٣: ١١) لكننا في هذا الدور الأخير نجد بالأسف كيف فقدت المسيحية بصفة عامة ما عندها. ولهذا نقرأ في بداية المرحلة القول "لما شبعوا من الطعام طفقوا يخففون السفينة طارحين الحنطة في البحر".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يا للأسف فبعد الشبع احتُقرت الحنطة ورموها في البحر. هل تحدثنا الحنطة عن المسيح كما نراه في كلمة الله (قارن يو١٢: ٢٤)؟ ما عاد المسيح بمطلوب في الأنظمة المستحدثة بل وفي بعض الكنائس التي تدعي الاستنارة. أولاً نقرأ في دور كنيسة اللاودكيين كيف يقف المسيح في الخارج قارعاً الباب وملاك الكنيسة في الداخل يقول "لا حاجة لي إلى شيء"؟ أيوجد خراب أفظع من هذا؟! لكن طرح الحنطة تلاه أمر آخر هو طرح المراسي! "نزعوا المراسي تاركين إياها في البحر". يا للأسف مرة أخرى. يا للأسف على تلك المراسي الأربع التي تأملنا في مدلولها في الدور السابق: كلمة الله، والصلاة، ومحبة الله، والرجاء المبارك... كل هذا في البحر؟! نعم لاق بالرب أن يقول لملاك كنيسة اللاودكيين "ولست تعلم أنك أنت الشقي والبئس وفقير وأعمى وعريان" فكم الإنسان أعمى بدون كلمة الله، وكم هو فقير بدون الصلاة. وبدون محبة الله كم الإنسان بائس. وبدون الرجاء هو شقي، بل "أشقى جميع الناس" (١كو١٥: ١٩). وبالإجمال يصبح هذا الإنسان خالياً من كل شيء إلهي. يصبح عرياناً!

وقول الرب لملاك كنيسة اللاودكيين "لست تعلم" يتوافق مع قول المؤرخ الإلهي هنا "لم يكونوا يعرفون الأرض". يا للجهل!

لكن هناك صورة أخرى للفشل البشري نستشفها من القول "لم يكونوا يعرفون الأرض. ولكنهم أبصروا خليجاً له شاطئ فأجمعوا أن يدفعوا إليه السفينة إن أمكنهم". نرى هنا إجماعاً، لكن لاحظ أنه لا يقول أجمعنا بل أجمعوا هم. فهذا الإجماع ليس على كلام بولس. ليس على كلام الله، بل إنه كلامهم هم، كلام الشعب، أليس هذا هو طابع الدور الأخير للمسيحية. فطابع الديمقراطية الذي يميز عالم اليوم صار يميز الكنيسة أيضاً. وكلمة لاودكية، وهي اسم الكنيسة الأخيرة في الكنائس السبع، تعني "حُكم الشعب"!

أتدري لماذا ظلمة التقليد باقية للآن رغم بزوغ نور الإصلاح من مئات السنين؟ السبب أن الشعب "هكذا أحب" (إر٥: ٣١). ولماذا انحرفت الكنائس التي تقول إنها مستنيرة إلى فلسفات جوفاء وعقيمة؟ السبب أن الشعب لم يعودوا يحتملون التعليم الصحيح بل حسب شهواتهم الخاصة يجمعون لأنفسهم معلمين مستحكة مسامعهم، لكي يصرفوا أذهانهم عن الحق "٢تي٤: ٣، ٤). فيا لبؤس الشعب والقادة معاً!!

لكن فشلاً ثالثاً يميز هذه الفترة أيضاً إذ نقرأ أنهم "رفعوا قلعاً للريح الهابة". وهذا معناه أن الروح العامة التي ترسم اتجاهات البشر أثّرت على المسيحية أيضاً. فإن كانت الرياح السائدة في هذا العصر هي تكوين الاتحادات الأكبر فإن ركاب السفينة وقد رفعوا قلعاً لهذه الريح الهابة، فإنهم أخضعوا نفوسهم لروح الاتحادات. فبرزت في أوائل هذا القرن الحركة المسكونية التي ستتمخض عن بروز بابل في أبشع أدوارها بعد اختطاف الكنيسة. كما تفيد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أن الموجهين لسير السفينة إذ أرادوا الاستفادة برياح العالم فقد تصالحوا مع السياسة العالمية. وبدأت المسيحية تلعب دوراً في سياسة العالم. وهكذا أقبلوا إلى الشاطئ.

لكن أي شاطئ؟! أيمكن أن قوى العالم تساعد المسافرين لكي يبلغوا مقصدهم؟ كلاَّ البتة. بل إن ما حدث هو أنهم وقعوا على موضع بين بحرين. هذان البحران هما رمزان لقوتين متضادتين تهددان الشهادة وستؤدي بها كما سنرى بعد قليل إلى الدمار.

ويمكن اعتبار هاتين القوتين المتضادتين هما التقليد والإلحاد. أو بعبارة أخرى هما النظام الطقسي الجامد من جانب، وعدم الإيمان المتحرر من الجانب الآخر. كما يمكن اعتبارهما أيضاً قوى العداء للشهادة المسيحية من خارجها ومن داخلها. فما أشد هياج العالم من الخارج، وما أشد اللطمات للحق الصافي من الداخل أيضاً!

وإذ وقعوا على موضع بين بحرين شططوا السفينة فارتكز المقدم ولبث لا يتحرك. وأمّا المؤخر فكان ينحل من عنف الأمواج. إن ارتكاز المقدم وعدم تحركه قد يعطينا صورة للمواقف العنيدة التي يتخذها بعض القادة إذ يتمسكون في إصرار على مواقفهم لا تمسكاً بحق إلهي بل حباً في مراكز الزعامة، ضاربين عرض الحائط بما يحدث للمؤخر، أي للبسطاء من المؤمنين من انقسامات لا طائل من ورائها. ألا تجعلنا هذه الملاحظة نفحص طرقنا ونحني رؤوسنا خجلاً من كثير من المواقف التي كان فيها الإصرار على الرأي في أمور ثانوية، وليس التمسك بالحق الكتابي سبباً للانقسام وتحلل الشهادة!

ثانياً: أمانة الله:

إن كانت الأعداد الأربعة الأولى من هذا الجزء تحدثنا فشل الإنسان فإن الأعداد الثلاثة الأخيرة منها تحدثنا عن أمانة الله فنقرأ "فكان رأي العسكر أن يقتلوا الأسرى لئلاَّ يسبح أحد منهم فيهرب". والعسكر في رغبتهم قتل الأسرى كانوا أداة الشيطان الذي يريد قتل بولس[١]. وهم صورة لأجناد الشر الروحية في آخر أيام الشهادة التي تعيشها الآن، وكيف تكالبوا بشراسة مستخدمين البشر لإهلاك الأمناء. كم نرى ونسمع عن محاولات يقال عنها بصدق "لولا الرب الذي كان لنا عندما قام الناس علينا إذاً لابتلعونا أحياء عند احتماء غضبهم علينا... مبارك الرب الذي لم يُسلمنا فريسة لأسنانهم" (مز١٢٤: ٢).

يقول الوحي "لكن قائد المئة إذ كان يريد أن يخلص بولس منعهم من هذا الرأي. وإن كان قائد المئة قدر أن ينقذ بولس ومن معه أفلا يقدر "مخلصنا الله" "الذي نجانا من موت مثل هذا، وهو ينجي، الذي لنا رجاء فيه أنه سينجى أيضاً فيما بعد" (٢كو١: ١٠)؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لهذا فقد أمر قائد المئة أن القادرين على السباحة يرمون أنفسهم أولاً فيخرجون إلى البر. والباقين بعضهم على ألواح وبعضهم على قطع من السفينة. فهكذا حدث أن الجميع نجوا إلى البر.

إذاً لقد تحطمت السفينة في النهاية كما قال بولس. لكن- مجداً للرب- الجميع نجوا. بعضهم وصل أولاً فرادى إلى البر الآمن. ثم بعد ذلك وصل الآخرون على ألواح وعلى قطع من السفينة. وهكذا ستتحطم المسيحية عن قريب كإناء للشهادة. "مزمع أن أتقيأك من فمي" (رؤ٣: ١٦) "أنت أيضاً ستُقطع" (رو١١: ٢٢). وها نحن من الآن نرى التجمعات العديدة هنا وهناك. تجمعات صغيرة وكبيرة، وتقابل "الألواح" و "قطع من السفينة". وما أقل من يتمسكون اليوم بوحدانية الروح، ويخضعون للمبدأ الإلهي "جسد واحد وروح واحد".

ملاحظة ختامية مزدوجة

أقول أولاً: إنه مهما كانت صعوبات الرحلة وأهوالها فسوف نصل سالمين عن قريب دون أن يصيبنا أي سوء. إن أمنك يا أخي المؤمن لا يتوقف على قوتك أو على مهارتك في السباحة، ولا يعتمد على تعلقك بلوح خشبي أو حتى بقطعة من السفينة، بل إن أمنك يرتكز على كلمة الله الصادقة ووعده الأمين. فلا تخف البتة لأنه قال، "لا تكون خسارة نفس واحدة منكم". ونحن نؤمن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضاً" (رو٤: ٢١).

لكن أمانة الرب تجاهنا ينبغي أن تقودنا نحن أيضاً إلى أمانة تجاهه. فإنه بعد قليل جداً سنفارق هذا المشهد الخرب لنكون مع حبيبنا وعريسنا في المجد. وعندئذ سيأفل مجد العالم الفاني وتغرب شمس المسيحية الاسمية، وسينتقلان سريعاً من عظمتهما الفارغة إلى دينونتهما الحتمية. أيليق بنا أن تعوقنا اعتبارات عالمية أو حتى دينية عن أن نكون أمناء "لسيدنا الوحيد". فياليتنا ونحن في لحظات الشهادة الأخيرة، ألا تشغلنا أمور العالم الزائلة الزائفة. بل وحتى فساد الحالة وظلمة الأيام وارتداد الكنيسة ليتها لا تشغلنا كثيراً بل إنما نحرص أن نكون أمناء في سيرنا مع الرب هنا فنسمع من فمه هناك كلمات المديح والثناء "نعماً أيها العبد الصالح والأمين" (مت٢٥: ٢١، ٢٣).

لكن لنتذكر أن ليس فقط المسافرون نجوا بل بولس أيضاً. وهذا معناه في اللغة التصويرية لهذه الرحلة أن الحق الخاص بالكنيسة سيبقى وسيستمر حتى مجيء الرب القريب. فكما أننا كمؤمنين محفوظون بقوة الرب، هكذا أيضاً الحق الخاص بالكنيسة.

عندما ارتد جميع الذين في آسيا عن بولس، أو بالحري عن إنجيله المجيد وتعاليمه السامية التي نادى بها الرسول. فإنه في آخر رسالة كتبها تحول عن الكل إلى الرب، مستودعاً إياد ذلك الحق عينه الذي كان الرب قد استودعه إياه. فهو لم يجد شخصاً يستودعه ذلك الحق

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ليحفظه إلى النهاية سوى الرب. فقال "لأني عالم بمن آمنت، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي "الحقائق التي ائتمنني عليها" إلى ذلك اليوم" (٢تي١: ١٢) وهو بكل يقين قادر أن يحفظ تلك الوديعة كما يحفظنا نحن أيضاً.

ومرة أخرى نقول إن أمانة الرب في حفظه لهذا الحق الثمين تضعنا نحن أمام امتحان هام: ما هو موقفنا من هذا الحق؟ هل نحن بمعنى الكلمة "مسافرون مع بولس؟" هل لازلنا متمسكين بهذا الحق الثمين الذي أعلنه الرب في كلمته؟ وهل كلمات الرسول الختامية لابنه تيموثاوس "يا تيموثاوس احفظ الوديعة الصالحة بالروح القدس الساكن فينا" (٢تي١: ١٤) نعم هل هذه الكلمات نأخذها لأنفسنا نحن أيضاً؟ أم أننا- وقد ملأ اليأس قلوبنا من الحالة العامة، نفضنا أيدينا من جهة الحق الخاص بالكنيسة، الشهادة الغالية على قلب الله أبينا، وقلب ربنا يسوع المسيح حبيبنا وعريسنا؟!

إنني أتجه بهذه الأسئلة الفاحصة إلى كل مؤمن، إن كان استطاع أن يتتبع معي المعاني الروحية المباركة المتضمنة في هذا الكتاب. نعم ليس مطلوباً مني أن أنشغل بوصولي سالماً، فهذا وعد الرب الأمين، بل المطلوب أن أكون مسافراً مع بولس.

"افهم ما أقول، فليعطك الرب فهما في كل شيء" (٢تي٢: ٧).

والآن في نهاية هذا الكتاب الصغير، نتجه إليك أيها الرب الأمين. هب ألاَّ يشغلنا شيء أسمى من أن نحيا أمناء لك إلى النهاية.

أيها القدوس الحق، ليتك تحفظنا رغم القوة اليسيرة التي تميز البقية الأمينة في كل زمان ومكان (ملا٣: ١٦، رؤ٣: ٨) كي نظل لك متقين، وفي اسمك مفكرين، ولكلمتك حافظين، وبقوتك غالبين. اسمعنا يا سيدنا كلماتك الغالية، واحفرها بعمق على ألواح قلوبنا "تمسك بما عندك، لئلاَّ يأخذ أحد إكليلك" (رؤ٣: ١١).

ولك يا ربنا الغالي والمعبود كل المجد والسجود. آمين.

أنت المعلمُ الأمين فيك لنا كلُ الآمـال

منطقنا بالحقِ الثمينْ واحفظنا من كلِ ضلال

فانظر إلينا كلِـنا وامنحنا نعمةَ السهـر

حتى نكونَ أُمنـا في كلِ مدةِ السفـر

مراجع الكتاب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

1-Dictionary of Bible proper Names. by C. A. Potts

2-Dictionary of Scripture proper Names. by J. B. Jackson

3-Concordance of the Holy Scriptures. by C. J. H. Davidson

4-The Westminister Dictionary of the Bible. by. J. D. Davis

---

[١] -يمكننا تتبع سبع محاولات من الشيطان لقتل بولس مذكورة في الإصحاحات الأخيرة من سفر الأعمال من لحظة القبض عليه في أورشليم إلى أن وصل إلى روما كما قال له الرب. وهنا نجد المحاولة السادسة (انظر أع٢١: ٣١، ٢٣: ١٢، ٢٥: ٣، ٢٧: ١٥، ٣٠، ٤٢، ٢٨: ٤).

 All rights reserved © 2008-2018

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.
لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com